# قصد السبيل
# في
# كشف الدخيل


عبد الحميد محمود البطاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر فرع المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله المؤيد بالآيات البينات وعلى آله وصحبه السابقين للخيرات ...اللهم آمين.

أما بعد: فمما لا شك فيه أن لكتاب الله تعالى من المهابة والإجلال ما يجعل العلماء يرهبون الخوض في تفسيره ويتحفظون ولوج تأويله فلا يقحم عالم نفسه في بحر تفسيره إلا بعد كر وفر وإقبال وإدبار وإقدام وإجام ولكن هيهات فإن لكتاب الله حلاوة وعليه طلاوة لا سبيل لمن قرأه إلا الإقبال عليه والاحتفاء به وإمتاع قلبه وعينيه، ولا مناص لمن تلاه إلا الرغبة في معرفة معانيه والسعادة بما يشتمل عليه ويحتويه. فاصطفى الله من عباده علماء يسامون الجبال رسوخاً ويماسون السحاب شموخاً...

قال عنهم ربهم (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢): فاطر). وصرف عن كتابه الذي يتكبرون في الأرض (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) الأعراف: ١٤٦.

بيد أن كل ابن آدم خطاء ولا عصمة إلا للأنبياء وأبى الله أن يكمل إلا كتابه؛ لذا عُثر على أخطاء في بعض التفاسير ووجدت هنات من هؤلاء النحارير فلكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة وقد قيض الله لحفظ دينه علماء

أجلاء لهم حظ من سعة الفهم وزادهم الله بسطة في العلم فعرفونا الخطأ من الصواب وأحكموا القول بفصل الخطاب فجمعت أقوال هؤلاء الأجلاء الأفذاذ وجعلته ميسراً للناس وحذوت حذوهم فاحتكمت للقواعد التي بينوا بها رجحان الراجح وبطلان الباطل فذكرت مالم أجده مسطوراً في كتبهم، ولعلهم تركوا بيانه لوضوحه لمن في زمانهم ولكنه خفي على من جاء بعدهم فلزم التنويه ببيانه والتحذير من تركه أو نسيانه. وقد شدد شيوخنا على وجوب التحذير من الدخيل وهذه جهدى المتواضع "قصد السبيل في كشف الدخيل" نسأل أن ينفعنا به ويقبله منا وقد جمعت في هذا الكتاب ثلاثة أبحاث: الأول بعنوان "التفسير قواعد وأصول"

قواعد التفسير التي يجب إتباعها كي يكون التفسير مقبولاً ومن أخل بتلك القواعد والأصول فحري بتفسيره أن يُلحق بالدخيل وسنذكر الدخيل الذي سيحدث لو لم نطبق تلك القواعد ونذكر ما وقع فعلاً من الدخيل في كتب التفسير المعتبرة.

والبحث الثاني "تطهير التفاسير من لوثات بني إسرائيل" لما حدثت شيخي العلامة الشيخ الدكتور عبدالستار عن كتابتي لبحث في الإسرائيليات قال لي قد عزمت على كتابة بحث فيها ولكني لم أفعل وكنت سأسميه "تطهير التفاسير من لوثات بني إسرائيل" أو "تطهير التفاسير من خرافات بني إسرائيل" أعانك على كتابته قلت وسآخذ العنوان قال خذه، والبحث الثالث "قصد السبيل في كشف الدخيل" وجعلته للحديث عن الدخيل

وأقسامه والأمثلة التي يجب التنبيه عليها للتحذير منها وقدمت لتلك الأبحاث التي جعلتها في ثلاثة فصول كل بحث في فصل قدمتها بتمهيد يشتمل على عدة فوائد مهمة تتعلق بالدخيل. والله المستعان وعليه التكلان.

## فوائد مهمة تتعلق بالدخيل

### ١- في بيان وجوب النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ وَدِينِهِ: -

معذرة إذا تجاوزنا حدنا وتكلمنا عن أسيادنا وأئمتنا حضنة الإسلام وحماة الدين وجند الله وحفظة كتابه. ولكن الغيرة على القرآن والدفاع عن ساحة الإسلام ألزماني أن أرتقى هذا المرتقى الصعب وأقف هذا الموقف الخطير والذي يصبرني على هذا الموقف أنني في غالب ما أذكر أني أقلد غيري ومؤتم بأشياخي ولي سلف من السادة العلماء ممن جاوز تلك الدرجة بدرجات والله حسبي ومعيني، ولنجعل نصب أعيننا أننا نعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال. وعلمنا شيوخنا هذا الفهم العظيم حيث كان شعارهم "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل".

عن أبي بكر بن دريد قال: (أخبرنا عمرو أخو هلال الرأي قال جاء رجل إلى أبي زيد الأنصاري فسأله عن مسألة من النحو فأجابه فقال الرجل إن سيبويه لا يرضى بهذا فقال أبو زيد اسكت يا صبي لقد جلست هذا المجلس قبل أن يولد سيبويه بثلاثين سنة) فعلق على هذا الخبر أبو أحمد العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد: ٢٩٣ -٣٨٢ هـ) فقال وهذا جواب غير مرضي وكان يجب أن يتصرف مع الحجة لا مع كبر السن) [١].

[١] قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الشيخ محمود شاكر ص٥٤) مطبعة المدني الأولى ١٤١٨-١٩٩٧

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَالْعِلْمُ إمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ عَنْ مَعْصُومٍ وَإِمَّا قَوْلٌ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ، وَمَا سِوَى هَذَا فَإِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لَا يُعْلَمُ أَنَّهُ بَهْرَجٌ وَلَا مَنْقُودٌ[1].

قال ابن القيم: ... وَلَا بُدَّ مِنْ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنْ الْآخَرِ، وَهُوَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ وَدِينِهِ، وَتنزيهِهِ عَنْ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ الْمُنَاقِضَةِ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ، وَبَيَانُ نَفْيِهَا عَنْ الدِّينِ وَإِخْرَاجِهَا مِنْهُ، وَإِنْ أَدْخَلَهَا فِيهِ مَنْ أَدْخَلَهَا بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ.

وَالثَّانِي: مَعْرِفَةُ فَضْلِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَمَقَادِيرِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَأَنَّ فَضْلَهُمْ وَعِلْمَهُمْ وَنُصْحَهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُوجِبُ قَبُولَ كُلِّ مَا قَالُوهُ، وَمَا وَقَعَ فِي فَتَاوِيهِمْ مِنْ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَفِيَ عَلَيْهِمْ فِيهَا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَالُوا بِمَبْلَغِ عِلْمِهِمْ وَالْحَقُّ فِي خِلَافِهَا لَا يُوجِبُ إطْرَاحَ أَقْوَالِهِمْ جُمْلَةً وَتنقُّصَهُمْ وَالْوَقِيعَةَ فِيهِمْ؛ فَهَذَانِ طَرَفَانِ جَائِرَانِ عَنْ الْقَصْدِ، وَقَصْدُ السَّبِيلِ بَيْنَهُمَا، فَلَا نُؤَثِّمُ وَلَا نَعْصِمُ، وَلَا نَسْلُكُ بِهِمْ مَسْلَكَ الرَّافِضَةِ فِي عَلِيٍّ وَلَا مَسْلَكَهُمْ فِي الشَّيْخَيْنِ، بَلْ نَسْلُكُ مَسْلَكَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤَثِّمُونَهُمْ وَلَا

---

[1] مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية صـ٣٤ تحقيق الدكتور عدنان زرزور دار القرآن الكريم بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٩ .١٣٩٩.. والبهرج هو المغشوش، وبهرج النقود من الذهب والفضة هي المغشوشة، والمنقودة أي: السالمة من الغش والجيدة (أساس البلاغة للزمخشري).

يَعْصِمُونَهُمْ، وَلَا يَقْبَلُونَ كُلَّ أَقْوَالِهِمْ وَلَا يُهْدِرُونَهَا. فَكَيْفَ يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا فِي الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ مَسْلَكًا يَسْلُكُونَهُ هُمْ فِي الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ؟ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ لِمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا يَتنافيَانِ عِنْدَ أَحَدِ رَجُلَيْنِ: جَاهِلٍ بِمِقْدَارِ الْأَئِمَّةِ وَفَضْلِهِمْ، أَوْ جَاهِلٍ بِحَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ، وَمَنْ لَهُ عِلْمٌ بِالشَّرْعِ وَالْوَاقِعِ يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ الَّذِي لَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَدَمٌ صَالِحٌ وَآثَارٌ حَسَنَةٌ وَهُوَ مِنْ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَكَانٍ قَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ هُوَ فِيهَا مَعْذُورٌ بَلْ وَمَأْجُورٌ لِاجْتِهَادِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتْبَعَ فِيهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُهْدَرَ مَكَانَتُهُ وَإِمَامَتُهُ وَمَنزلَتُهُ مِنْ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ... قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: رَآنِي أَبِي وَأَنَا أَنْشُدُ الشِّعْرَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا تنشُدُ الشِّعْرَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَانَ الْحَسَنُ يُنْشِدُ الشِّعْرَ، وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يُنْشِدُ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنْ أَخَذْتُ بِشَرِّ مَا فِي الْحَسَنِ وَبِشَرِّ مَا فِي ابْنِ سِيرِينَ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأَئِمَّةِ مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا وَلَهُ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ خَفِيَ عَلَيْهِمْ فِيهَا السُّنَّةُ... قَالَ عُمَرُ: ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ: زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ.

وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ زَلَّةَ الْعَالِمِ وَجِدَالَ الْمُنَافِقِ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ، وَعَلَى الْقُرْآنِ مَنَارٌ كَأَعْلَامِ الطَّرِيقِ.

وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ، قَلَّمَا يُخْطِئُهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إنَّ وَرَاءَكُمْ فِتنا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَحْمَرُ، فَيُوشِكُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُولَ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا أَظُنُّ أَنْ يَتْبَعُونِي حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَإِيَّاكُمْ وَزَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ بِكَلِمَةِ الضَّلَالَةِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ، فَتَلَقَّوْا الْحَقَّ عَمَّنْ جَاءَ بِهِ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا، قَالُوا: كَيْفَ زَيْغَةُ الْحَكِيمِ؟ قَالَ: هِيَ كَلِمَةٌ تَرُوعُكُمْ وَتنكِرُونَهَا وَتَقُولُونَ مَا هَذِهِ، فَاحْذَرُوا زَيْغَتَهُ، وَلَا تَصُدَّنَّكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَفِيءَ وَيُرَاجِعَ الْحَقَّ، وَإِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانُهُمَا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا.

وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: كَيْفَ أَنْتُمْ عِنْدَ ثَلَاثٍ: زَلَّةِ عَالِمٍ، وَجِدَالِ...

ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ هَذِهِ الْآثَارَ كُلَّهَا وَغَيْرَهُ... فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ إذَا بَلَغَتْهُ مَقَالَةٌ ضَعِيفَةٌ عَنْ بَعْضِ الْأَئِمَةِ أَنْ لَا يَحْكِيَهَا لِمَنْ يَتَقَلَّدُهَا، بَلْ يَسْكُتُ عَنْ ذِكْرِهَا إنْ تَيَقَّنَ صِحَّتَهَا، وَإِلَّا تَوَقَّفَ فِي قَبُولِهَا؛ فَكَثِيرًا مَا يُحْكَى عَنْ الْأَئِمَّةِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ[1].

[1] إعلام الموقعين ٢٦٣/٣-٢٦٦ للإمام ابن القيم تحقيق هاني الحاج مكتبة التوفيقية

وقال الشافعي لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق قال وكان يجيء إلى الرجل يعني الذي ليس أهلا للحديث فيقول لا تحدث وإلا اشتكيت عليك إلى السلطان[1].

قال الحافظ الذهبي: ... غُلاة المعتزلة، وغُلاة الشيعة، وغُلاة الحنابلة، وغُلاة الأشاعرة، وغُلاة المرجئة، وغُلاة الجهمية، وغُلاة الكرامية: قد ماجت بهم الدنيا وكثروا، وفيهم أذكياء وعبَّاد وعلماء. نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الإتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن[2].

وقال الذهبي: ... عن قتادة رض الله عنه وَكَانَ يَرَى القَدَرَ - نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ -.

وَمعَ هَذَا، فَمَا تَوقَّفَ أَحَدٌ فِي صِدقِهِ، وَعَدَالَتِه، وَحِفظِه، وَلَعَلَّ اللهَ يَعْذُرُ أَمْثَالَه مِمَّنْ تَلَبَّسَ بِبدعَةٍ يُرِيْدُ بِهَا تَعْظِيْمَ البَارِي وَتَنزِيهَه، وَبَذَلَ وِسْعَهُ، وَاللهُ حَكَمٌ عَدلٌ لَطِيْفٌ بِعبَادِه، وَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. ثُمَّ إِنَّ الكَبِيْرَ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ إِذَا كَثُرَ صَوَابُه، وَعُلِمَ تَحَرِّيهِ لِلْحقِّ، وَاتَّسَعَ عِلْمُه، وَظَهَرَ ذَكَاؤُهُ، وَعُرِفَ

[1] تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢٣٣/١

[2] سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٥، ٤٦ للحافظ الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط الرسالة

صَلاَحُه وَوَرَعُه وَاتِّبَاعُه، يُغْفَرُ لَهُ زَلَلُهُ، وَلاَ نُضِلِّلْهُ وَنَطرْحُهُ وَنَنسَى مَحَاسِنَه. نَعَم، وَلاَ نَقتَدِي بِهِ فِي بِدعَتِه وَخَطَئِه، وَنَرجُو لَهُ التَّوبَةَ مِنْ ذَلِكَ. [1].

وقد نقد العلماء هذا كتب التفسير ونبهوا على التحري في قبول الأقوال المذكورة فيها. قال الإمام أحمد بن حنبل: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير. قال الخطيب البغدادي: وهذا الكلام محمول على وجه وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها... قال البغدادي: ولا أعلم في التفسير كتاباً مصنفاً سلم من علة فيه أو عري من مطعن عليه[2].

٢- التحذير من التجرؤ على التفسير

قال القرطبي: فإن من قال فيه بما سنح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح[3]. فلا يحل أن يُفسر القرآن الكريم إلا من هو أهل له، ممن توفرت فيه شروط المفسر التي بينها العلماء

[1] سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩-٢٧١

[2] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/١٦٢، ١٦٣، البرهان ٢/١٥٦ للإمام الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

[3] الجامع لأحكام القرآن ١/٣٣ للقرطبي

في مصنفاتهم حفظاً لكتاب الله من جهل الجاهلين، وتنزيهاً له من ضلال المضلين.

وقال الزمخشري وقيل: مطويات بيمينه مفنيات بقسمه، لأنه أقسم أن يفنيها، ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله، ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته، وما منى به من أمثاله، وأثقل منه على الروح، وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله، واستحسانهم له، وحكايته على فروع المنابر، واستجلاب الاهتزاز به من السامعين. [1]

٣- تعريف الدخيل وبيان أقسامه

الدَخَل محركة: ما داخلك من فساد في عقل أو جسم وقد دخل كفرح وعنى دخْلاً ودخَلا الغدر والمكر والداء والخديعة والعيب في الحسب والشجر الملتف، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليس منهم ".

ودخل أمره كفرح فسد داخله، وهو دخيل فيهم أي من غيرهم ويدخل فيهم والدخيل كل كلمة أدخلت في كلام العرب ...ودخل عليه بالبناء للمفعول إذا سبق وهمه إلى شئ فغلط فيه من حيث لا يشعر، وفلان دخيل بين القوم أي ليس من نسبهم بل هو نزيل بينهم ومن ثم قيل: هذا الفرع دخيل في

---

١ الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٤٤)

الباب ومعناه أنه ذكر استطرادا ومناسبة ولا يشتمل عليه عقد الباب[1]. وفى مختار الصحاح والدخل أيضا العيب والريبة وفى الأساس فيه دخل عيب ونحوه في المعجم الوسيط [2].

فتلك الكلمة-الدخيل-يدور فلكها على محور واحد ألا وهو العيب والفساد الداخلي سواء كان هذا العيب من حيث الغرابة بإدخال المختلف بين المؤتلف كالكلمة غير العربية تدخل في كلام العرب وكالرجل ينتسب إلى قوم وليس منهم أم كان من أية حيثية أخرى كالداء والمكر والخديعة والريبة وعفن الجوف وما إلى ذلك من العيوب الحسية والمعنوية التي يخفى أمرها على من لم يتأملها. ثم إننا إذا قلنا كلمة الدخيل على العيب نفسه تكون من إطلاق فعيل بمعنى فاعل وإن قلناها على الشيء المعيب كانت من إطلاق فعيل بمعنى مفعول مبالغة

الدخيل في التفسير: هو عيب وفساد ذكره صاحبه في ثنايا الأصيل من تفسير القرآن الكريم بحيث تحتاج في الكشف عن عواره إلى بذل شئ من التأمل يتميز لك من خلاله الأصيل من الدخيل[3].

---

[1] لسان العرب ١١/٢٣٩ لابن منظور بيروت المفردات للراغب صـ ١٦٨ القاموس المحيط ٣/ ٣٨٧ الثانية ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م الحلبي والمصباح: ١/١٠٢ أساس البلاغة صـ ١٨٤ بيروت ١٩٧٩ م

[2] مختار الصحاح: ١ /١٠٣ والمعجم الوسيط١/٢٨٥

[3] الدخيل في التفسير: ١/٢٠. ٢٢

الدخيل: كل ما لا يصح تفسير القرآن الكريم به.

وعرفه شيخنا الأستاذ الدكتور / سيد مرسي: كل ما تطرق إلى التفسير من الأخبار والروايات الضعيفة أو الموضوعة، أو من القطع بأن مراد الله تعالى كذا وكذا من غير دليل، والأقوال التي تقرر المذهب الفاسد، ومن السير مع الهوى والاستحسان، كل ذلك من الدخيل في التفسير. هـ [1] وعرفه شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة بقوله: هو ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله أو ثبت ولكن على خلاف شرط القبول أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد.

وأو هنا للتنويع ليشمل قسمي الدخيل فإنه ينقسم إلى قسمين

١ -الدخيل بالمأثور ٢- الدخيل بالرأى.

وسوف نعرفهما بالتفصيل

٤- الدخيل بالمأثور: -

هو ما كان تفسيراً بسنة غير صالحة للحجية[2]، أو ما كان تفسيراً بقول صحابي أو قول تابعي أو تابع تابعي وهذه الأقوال غير صالحة للحجية لعدم

---

[1] - منحة الجليل في التنبيه على ما في التفسير من الدخيل — د / سيد مرسي إبراهيم البيومي ص ٢٣ الأولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م.

[2] قال القاسمي: سواء أكانت ضعيفة أو موضوعة لكن الضعيفة فيها خلاف ومع ذلك حذر العلماء من الاعتماد عليها. والجمهور على أن الحديث الضعيف لا يعمل به إلا في فضائل الأعمال وذهب الشيخان والظاهرية إلى عدم الأخذ به في شئ ما لا في الفضائل ولا غيرها وذلك

صحة نسبتها إليهم أو ثبتت ولكنها خالفت غيرها مما صلح للحجية خالفتها مخالفة لا يصلح الجمع بينها أو ثبتت ولكنها خالفت بعضها بعضاً اختلافا تضل فيه الفكرة [1].

أقسام الدخيل بالمأثور

وقد جمع شيخنا الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة هذه الأنواع فيما يلي:

١-: ما كان تفسيراً بسنة غير صالحة للحجية[2].

وهو قسمان

أ – التفسير بالأحاديث الموضوعة.

ب – التفسير بالأحاديث الضعيفة. ولا سيما إذا كان ضعفها مما لا ينجبر كأن كان بانخرام شرط العدالة.

٢- مالم يثبت من مأثور الصحابة بأن كان موضوعاً عليهم أو مروياً عنهم بسندٍ ضعيف.

---

استبراء للدين من أن يشرع فيه أمر لم يثبت ولم يصح فنقول على الشرع ما ليس منه وهذا ما ينشرح له الصدر لأن الأصل براءة الذمة وما سكت الشرع عنه فهو عفو منه. والذين تمسكوا بالضعيف في الفضائل اتفقوا على أنه لا يحتج به في غيرها لا في الأصول ولا في الفروع لعدم صحة مخرجه نقد النصائح الكافية للقاسمي صـ١١

[1] الدخيل في التفسير: ١/٣٣، ٤٠

[2] كتبت فيه كتابا بعنوان: (لا تكذبوا على الرسول (ذكرت فيه الروايات الموضوعة والضعيفة أو التي قيل بضعفها أو وضعها والأمر على خلاف ذلك.

٣- ما كان من مأثور الصحابة فيما ليس للرأي فيه مجال، ولكن عُرف عمَّن أثر عنه بالأخذ من الإسرائيليات، وكان ذلك المأثور مما له صلة بما لدى بني إسرائيل بشرط ألا تعرف موافقة ذلك المأثور لما هو مقرر في القرآن الكريم أو السنة الثابتة، وإلا كان من الأصيل، وخرج عن كونه دخيلاً بالمرة؛ لأننا في الحقيقة آخذين مما في الكتاب أو السنة.

ويشمل هذا اللون من التفسير الدخيل:

أ- الإسرائيليات المخالفة للكتاب أو ثابت السنة.

ب- الإسرائيليات التي لا تعرف لها موافقة ولا مخالفة للكتاب والسنة بأن كان حديثها في شيء ليس له في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة عين ولا أثر.

٤- ما وقع فيه الاختلاف من مأثور الصحابة اختلافاً تضل معه الفكرة، ولا يهتدي فيه إلى الصواب.

٥- ما لم يثبت روايته عن التابعين بأن كان موضوعاً عليهم كذلك، أو كان ضعيف الإسناد.

٦- ما كان من الإسرائيليات من مرسلات التابعين، وإن وافقت الكتاب أو السنة الثابتة مالم تعتضد تلك الموافقة للكتاب أو السنة بما يرفعها إلى درجة الحسن لغيره على أقل تقدير لضعف المرسل على الصحيح كما تعرف.

٧-ما تعارض تعارضا حقيقيا يتعذر معه الجمع مما كان يجب الأخذ به من الأربعة الأول السابقة لك في الأصيل وهي(الكتاب، السنة الصالحة للحجية، أقوال الصحابة مما له حكم المرفوع، ما كان تفسيرا بما أجمع عليه الصحابة أو التابعون). ما تعارض تعارضاً حقيقياً - من هذه الأمور الأربعة-يتعذر معه الجمع مع المعقول القطعي فإن ظواهرها تكون من الدخيل وإنما الأصيل تأويلها.

٨- ما تعارض تعارضاً حقيقياً يتعذر معه الجمع مع المعقول ولو كان ظنياً من الثلاثة الأخيرة وهي:

١-ما اختلف فيه الصحابة اختلافاً لا يخفى معه وجه الصواب.

٢-ما لم يعرف فيه من مأثور الصحابة إجماع ولا اختلاف.

٣-وما كان له حكم المرفوع المرسل من مأثور التابعين واعتضد مع ذلك بمرسل أخر أو نحوه من شاهد أو تابع أو تحقق في قائله شرط الإمامة والأخذ لأغلب تفسيره عن الصحابة، وهذه الثلاثة نبه شيخنا إلى أنه ترجح عند القوم الأخذ بها في التفسير لكن بشرط عدم تعارضها مع المعقول ولو كان ظنيا وإلا طرحت بالكلية أو طرحت ظواهرها على أقل تقدير لأجل المعقول لذا ذكرها هنا من الدخيل لمعارضتها المعقول.

٩-ما تعارض تعارضاً حقيقياً يتعذر معه الجمع مع ما هو مرجوح في مقابلة الأرجح كأن كانت السنة المرجوحة في مقابل القرآن، أو كان قول الصحابي مع القرآن والسنة، أو قول التابعي مع قول الصحابي أو الكتاب أو السنة،

أو تعارض ما يترجح الأخذ به ترجحاً فحسب مع ما يجب الأخذ به[1].

٥- الدخيل بالرأي: -

منشأ الخطأ فى التفسير بالرأى

أسبا ب الخطأ في التفسير بالرأي سبعة أسباب نذكرها فيما يلي.

أقسام الخطأ في الرأي

وهي سبعة أصناف وقعت بالفعل جمعها شيخنا حفظه الله

أ - إما أن يكون نقصاً في بعض أدوات الاجتهاد، ترتب عليه عدم رعاية جانب المنقول، أو المعقول، أو كليهما، حق رعايته من غير أن يبعث على هذا الخطأ سوء قصد بالمرة، وإنما غايته أن صاحبه اجتهد فأخطأ لنقص أداة أو شرط ما من أدوات وشروط الاجتهاد.

ب - وإما أن يكون منشأ الخطأ والباعث عليه، هو توجيه المعقول وجهة منحرفة، والسير به على درب غير مستقيم بأن يحكم العقل أو يتحاكم إليه فيما ليس الحكم فيه للعقل، أو أن يظن خطأً أن في ظاهر منطوق النص مخالفة لمقتضى العقل، فيؤول النص ويطرح ظاهره؛ لأجل هذا الظن الخاطئ مع أن الحقيقة وواقع الأمر أنه لا مخالفة أصلاً بين الظاهر ومقتضى العقل، وبالتالي لا حاجة بالمرة إلى التأويل. وممن يمثل هذا التفريط والتعطيل للكثير من الظواهر فرقة المعتزلة وبعض فلاسفة المسلمين.

---

[1] الدخيل في التفسير لشيخنا الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة. ص ٣٤، ٣٥ ط ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م

جـ - وإما أن يكون منشأ الخطأ والباعث عليه هو الإفراط والجمود للفظ على ما تنطق به ظواهر النصوص مع الطرح وبالكلية لمقتضى المعقول دون أدنى مبالاة بما قد يكون قائماً بالفعل من المنافرة بين منطوق بعض الظواهر وما يقتضيه العقل من امتناعها، ووجوب المصير إلى تأويلها، ويمثل هذا الاتجاه المشبهة والمجسمة.

د-وإما أن يكون منشأ الخطأ والباعث عليه كذلك هو التفلسف المتنطع في تطلب ما بين السطور أو ما وراء السطور -كما يقولون - والاستنباط من ذلك معان غريبة تعز على الوهم والخيال، فضلاً عن العقل، والسياق، والمطابقة لمقتضى الحال ويمثل هذا الاتجاه شطحات التصوف الفلسفي.

هـ - وإما أن يكون منشأ الرأي الخاطئ والباعث عليه كذلك هو التقعر والتعسف في استعراض المقدرة اللغوية أو الإعرابية، والإتيان من ذلك بالبدع والغرائب ويمثل هذا النوع بعض متنطعة اللغويين.

و- وإما أن يكون منشأه والباعث عليه هو القصد إلى إبراز المزيد من أوجه إعجاز القرآن في كل فنٍ ولونٍ، ولا سيما الإعجاز العلمي مع الجهل القبيح أو التجاهل السخيف بأهداف القرآن العليا وغاياته السامية، وبما إذا كان سياق النص وسابقه ولاحقه مما يساعد على أمثال هذه الأوجه أو لا يساعد، ويمثل هذا اللون بعض المنتسبين إلى العلوم المعاصرة.

ز - وإما أن يكون منشأ الفساد والباعث عليه هو الإلحاد المتعمد في آيات الله والكيد المجنون لشريعة الإسلام ونبيه بطرح معاني ألفاظ القرآن

الكريم بالكلية، واختراع معان أخرى حسب الهوى والتشهي، وطوع العصبية الجاهلة أو العقيدة الزائغة، ويمثل هذا اللون الباطنية والبهائية والبابية ومن إليهم من كل من زاغ وألحد بتحريف القرآن عن مواضعه قديماً وحديثاً. هذا هو الدخيل بالرأي بألوانه السبعة [1].

وهاك قاعدة لكل ما يمكن أن يندرج تحتها من ألوان الدخيل بالرأي.

قال الإمام الشيخ الدكتور الذهبي -رحمه الله[2]- يرجع الخطأ فى التفسير بالرأى - غالباً - إلى جهتين حَدَثَنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن الكتب التى يُذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً غير ممزوج بغيره، كتفسير عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وغيرهما[3]، لا يكاد يوجد فيها شئ من هاتين الجهتين، بخلاف الكتب التى جَدَّت بعد ذلك فإن كثيراً منها، كتفاسير المعتزلة والشيعة، مليئة بأخطاء لا تُغتفر، حملهم على ارتكابهم نُصرة المذهب والدفاع عن العقيدة.

أما هاتان الجهتان اللتان يرجع إليهما الخطأ فى الغالب فهما ما يأتى:

الجهة الأولى: أن يعتقد المفسِّر معنى من المعانى، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده.

---

[1] الدخيل في التفسير صـ ٣٧ — ٣٩

[2] أصل كلامه رحمه الله في مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية صـ٧٩ -٩٣

[3] من كتب التفسير بالمأثور ولا يوجد فيهما من تفسير بالرأي شئ البتة وتفسير عبد الرزاق مطبوع وتفسير عبد بن حميد مخطوط.

الجهة الثانية: أن يفسِّر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه مَنْ كان مِنَ الناطقين بلغة العرب. وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطَب به.

فالجهة الأولى: مراعى فيها المعنى الذي يعتقده المفسِّر من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والجهة الثانية: مراعى فيها مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربى، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به والمخاطَب، وسياق الكلام.

ثم إن الخطأ الذى يرجع إلى الجهة الأولى يقع على أربع صور:

الصورة الأولى: أن يكون المعنى الذى يريد المفسِّر نفيه أو إثباته صواباً، فمراعاة لهذا المعنى يحمل عليه لفظ القرآن، مع أنه لا يدل عليه ولا يُراد منه، وهو مع ذلك لا ينفى المعنى الظاهر المراد، وعلى هذا يكون الخطأ واقعاً فى الدليل لا فى المدلول، وهذه الصورة تنطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعَّاظ الذين يفسِّرون القرآن بمعان صحيحة فى ذاتها ولكنها غير مرادة، ومع ذلك فهم يقولون بظاهر المعنى،

وذلك مثل كثير مما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى حقائق التفسير، فمثلاً عندما عرض لقوله تعالى فى الآية ٦٦ من سورة النساء: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُو؟اْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُمْ....) الآية، نجده يقول ما نصه: (اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ) بمخالفة هواها، (أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُمْ)، أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم.. إلخ.

الصورة الثانية: أن يكون المعنى الذى يريد المفسِّر نفيه أو إثباته صواباً، فمراعاة لهذا المعنى يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويُراد به. ويحمله على ما يريده هو، وعلى هذا يكون الخطأ واقعاً فى الدليل لا فى المدلول أيضاً، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير بعض المتصوفة الذين يفسِّرون القرآن بمعان إشارية صحيحة فى حد ذاتها، ومع ذلك فإنهم يقولون: إن المعانى الظاهرة غير مرادة، وتفسير هؤلاء أقرب ما يكون إلى تفسير الباطنية، ومن ذلك ما فسَّرَ به سهل التسترى قوله تعالى فى الآية ٣٥ من سورة البقرة: (وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ).. حيث يقول ما نصه: لم يرد الله معنى الأكل فى الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشئ هو غيره.... إلخ.

الصورة الثالثة: أن يكون المعنى الذى يريد المفسّر نفيه أو إثباته خطأ، فمراعاة لهذا المعنى يحمل عليه لفظ القرآن، مع أنه لا يدل عليه ولا يُراد منه، وهو مع ذلك لا ينفى الظاهر المراد، وعلى هذا يكون الخطأ واقعاً فى الدليل والمدلول معاً، وهذه الصورة تنطبق على ما ذكره بعض المتصوفة من المعانى الباطلة، وذلك كالتفسير المبنى على القول بوحدة الوجود، كما جاء فى التفسير المنسوب لابن عربى عندما عرض لقوله تعالى فى الآية ٨ من سورة المزمل: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً).. من قوله فى تفسيرها: واذكر اسم ربك الذى هو أنت، أى اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله.... إلخ.

الصورة الرابعة: أن يكون المعنى الذى يريد المفسّر نفيه أو إثباته خطأ، فمراعاة لهذا المعنى يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويُراد به، ويحمله على

ذلك الخطأ دون الظاهر المراد، وعلى هذا يكون الخطأ فى الدليل والمدلول معاً، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير أهل البدع، والمذاهب الباطلة، فتارة يلوون لفظ القرآن عن ظاهره المراد إلى معنى ليس فى اللفظ أى دلالة عليه، كتفسير بعض غلاة الشيعة: " الجبت والطاغوت "بأبى بكر وعمر، وتارة يحتالون على صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى فيه تكلف غير مقبول،

وذلك إذا أحسوا أن اللفظ القرآنى يصادم مذهبهم الباطل، كما فعل بعض المعتزلة ففسَّر لفظ" إلى "فى قوله تعالى فى الآيتين ٢٢ – ٢٣ من سورة القيامة: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بالنعمة، ذهاباً منهم إلى أن" إلى "واحد الآلاء، بمعنى النعم، فيكون المعنى: ناظرة نعمة ربها، على التقديم والتأخير، وذلك كله ليصرف الآية عما تدل عليه من رؤية الله فى الآخرة.

وأما الخطأ الذى يرجع إلى الجهة الثانية فهو يقع على صورتين:

الصورة الأولى: أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذى ذكره المفسِّر لغة، ولكنه غير مراد، وذلك كاللفظ الذى يُطلق فى اللغة على معنيين أو أكثر. والمراد منه واحد بعينه، فيأتى المفسِّر فيحمله على معنى آخر من معانيه غير المعنى المراد، وذلك كلفظ" أُمَّة "فإنه يُطلق على معان، منها: الجماعة، والطريقة المسلوكة فى الدين، والرجل الجامع لصفات الخير، فحمله على غير معنى الطريقة المسلوكة فى الدين فى قوله تعالى فى الآية ٢٢ من سورة الزخرف: (إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) غير صحيح وإن احتمله اللفظ لغة.

الصورة الثانية: أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى بعينه، ولكنه غير مُراد فى الآية، وإنما المراد معنى آخر غير ما وضع له اللفظ بقرينة السياق مثلاً، فيخطئ المفسِّر فى تعيين المعنى المراد؛ لأنه اكتفى بظاهر اللغة، فشرح اللفظ على معناه الوضعى، وذلك كتفسير لفظ" مبصرة "فى قوله تعالى فى الآية ٥٩ من سورة الإسراء: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) يجعل" مبصرة "من الإبصار بالعين، على أنها حال من الناقة، وهذا خلاف المراد، إذ المراد: آية واضحة[1].

قال الزمخشري: ... ومن لم يَتَّقِ اللهَ فى تنزيلِهِ فاجْتَرَأَ على تَعَاطِى تَأَوْيله وهو غير مُعْرِبَ رَكبَ عمياءَ وخبطَ خَبْطَ عَشواءَ وقَالَ ما هو تَقَوُّلٌ وافتِراءٌ وَهِراءٌ، وكلامُ اللهِ منه بَراء" [2].

[1] التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى١/٢٦٨-٢٧١ هذا وقد أثنى شيخنا حفظه الله على الإمام الدكتور الذهبي قال بعد نقله لكلام الدكتور الذهبي وحسبك هذا من أستاذنا –رحمه الله–إفادة من كلام الأئمة وحسن بيان لهذه القاعدة وتوفيقاً في التمثيل لكل واحدة من الصور الست المندرجة تحتها بمثالها الصحيح فجزاه الله عنا أفضل الجزاء ثم قال حفظه الله ملخصا كل ما سبق في تلك القاعدة: كل من لم يتقن حقائق هذا الأمر فدخله على قدر عدم إتقانه. الدخيل في التفسير ص٣٦٣-٣٧٤

[2] المفصل للزمخشري بشرح ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على بن يعيش: ١٦/١ وقوله ركب عمياء: مَثل يضرب لمن يصيب مرة ويخطئ أخرى، والهراء: المنطق الفاسد. من شرح ابن يعيش على المفصل ١٦/١ (الناشر عالم الكتب بيروت)

## الفصل الأول

## التفسير قواعد وأصول

القاعدة والأصل والضابط والقانون معناها واحد وهو أمر كلى تحته جزئيات يثبت لها ما ثبت لما اندرج تحته[1].

تلك قواعد مهمة اعتمدها علماؤنا المحققون قد جمعت بعضها وتلوتها على شيخي الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد فأقرها بعد تعديل في الأسلوب وبين أنها ليست كل القواعد فهي كثيرة فمما ذكرتها له حفظه الله

١-لا ترادف في القرآن: لا يقال بالترادف في القرآن الكريم فليس فيه لفظان مترادفان تمام الترادف، وإنما يقوم الأسلوب القرآني على مراعاة أدق الفروق بين الألفاظ، ويضع كل لفظ فى موضعه المناسب.

٢- ما أمكن تخريجه على غير الزيادة لا يحكم عليه بالزيادة فلا يقال بالزيادة حرف في القرآن إلا لمعنى مقصود.

٣-لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة: فالحقيقة مقدمة على المجاز

٤-هيمنة القرآن على ما سواه من الكتب: فلا ينقل عن أهل الكتاب فهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني وأكثرهم عن الحق معرضون فكيف نثق بهم.

٥-السنة قاضية على الكتاب: فلا يفسر القرآن وإلا ومثله معه إن وجد ألا وهو الحديث الشريف.

---

[1] علم المناظرة مصطغى صبري ص٤.

٦-لا يتوسع في القول بالنسخ في القرآن: والواقع أن الآيات التي قيل بنسخها جمع بينها بلا تكلف.

٧-لا تكرار في القرآن إلا في المقامات الخطيرة

٨-وجوب ترك التعسف في

أ- الاستنباطات الفقهية ب- الإعراب والمباحث اللغوية

ج- التفسير العلمي هـ - التفسير الإشاري

٩- لا يفسر القرآن بالقراءات الشاذة التي تخالف المتواترة

١٠- لا يفسر القرآن بالآثار الضعيفة

١١- مراعاة السياق عند التفسير

١٢- لا يوضح المبهم إلا بما صح سنده عن المعصوم أو ما لا ينبذه علم صحيح أو ما قام عليه دليل صحيح

١٣- وجوب ترك الهوى عند تفسير القرآن فالقرآن هو الحكم.

١٤- لا تخصيص من غير دليل

١٥- لا تحمل مفاهيم الألفاظ القرآنية إلا عل المفاهيم النبوية وما فهمه الصحابة منه. هذه بعض القواعد وغيرها كثير نفصل الحديث عنها في المباحث التالية

## المبحث الأول

## قواعد عامة لتفسير القرآن الكريم

### ما يجب على المفسر البداءة به

على المفسر أن يهتم ويراعي التفسير بالمأثور: وهو تفسير القرآن الكريم بالمنقول، سواء كان هذا المنقول متواتراً أم غير متواتر. فهو ما كان بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين. قال الشوكاني: فإن جاءك التفسير عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم من جملة العرب، ومن أهل اللغة، وممن جمع إلى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به في لغة العرب فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه كلية تنتفع بها، وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك إلى هذا[1].

فائدة: وكان أبو بكر الفارسي صاحب كتاب الأصول بخراسان يشرب في آنية الذهب والفضة، وإذا قيل له: أما تروي في كتاب المزني أن الذي يشرب في آنية الفضة والذهب فإنما يجرجر في جوفه نار جهنم؟ يقول: إن الله عز

---

[1] فتح القدير ٤/ ٣٠٩ للإمام الشوكاني

وجل يقول: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده" الأعراف: ٣٢ وإن النبي لا يحرم ما أحل الله، والخبر لا يرفع القرآن، لأن القرآن أساس والخبر بناء وفرع، على أن الخبر معتمده على حسن الظن بالرواة والنقلة، والقرآن يبرأ من رجم الظنون، ولو صح هذا المأثور لكان لاحقاً بباب النهي على التنزيه، ومحمولاً على تفخيم الأمر إشفافاً من البطر، وتذكيراً بالخبر، لأن الخبر متى لم ينطبق على علة بها يقع النهي، ومن أجلها يرد الأمر، كان الخبر موقوفاً دونه ومسكوتاً عنه؛ وإذا كان هذا الذي قتله قريباً وممكناً، وكان الخبر يتضمن معنى النهي عن البطر، فأنا وأضرابي من العلماء في نجوة من البطر، وفي مأمن من

السطوة والشر، ومن جرى منكم مجراي فحكمه حكمي. وكان له كلام كثير في هذا النمط، وكان إماماً من أصحاب الشافعي رضي الله عنه[1].

ويجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به

---

١ البصائر والذخائر (١/ ٢٠٤)

منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات.

وقال الزركشي: قد جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه أولى بالبداءة به لتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول. قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)النساء: ٥٨. فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة[١]. وقال أيضا: جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها[٢].

قال الزركشي: وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شئ من الكتاب العزيز ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين[٣]. قال الزمخشري: ... ومن لم يَتَّقِ اللهَ فى تنزيلِهِ فاجْتَرَأَ

---

[١] البرهان ٣٤/١ الإتقان١٩٨/٤، ١٩٩

[٢] البرهان ٤٣٣/١ الإتقان١٩٩/٤

[٣] البرهان ١٦٥/٢

على تَعَاطِي تَأَوْيله وهو غير مُعْرِبٍ رَكِبَ عمياءَ وخبطَ خَبْطَ عَشواءَ وقَالَ ما هو تَقَوُّلٌ وافتِراءٌ وَهِراءٌ، وكلامُ اللهِ منه بَراء "[1].

قال شرف الدين الطيبي في شرح الكشاف في سورة الشعراء: شرط التفسير الصحيح أن يكون مطابقاً للفظ من حيث الاستعمال، سليماً من التكلف عرياً من التعسف، وصاحب الكشاف يُسمي ما كان على خلاف ذلك بدع التفاسير[2]. ونهى القرطبي أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأى، والنقل والسماع لا بدله منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصل إلى الباطن قبل إحكام الظاهر[3].

---

[1] المفصل للزمخشري بشرح ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على بن يعيش: ١٦/١ وقوله ركب عمياء: مَثل يضرب لمن يصيب مرة ويخطئ أخرى، والهراء: المنطق الفاسد. من شرح ابن يعيش على المفصل ١٦/١ (الناشر عالم الكتب بيروت)

[2] التحرير والتنوير ١٣/١

[3] القرطبي ٣٤/١

قال أبوحيان: كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه، وكذلك أيضاً ذكروا أنه لا يصح من أسباب النزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير[1]. بناءً على ذلك نقول كل تفسير للقرآن الكريم لا يعتمد على اللغة العربية ومفرداتها وضوابطها يُعد من الدخيل ومن ثَمَّ وضع العلماء ضوابط لابد أن يلتزم بها المفسر ويهتدي بها دارس التفسير فيعرف المقبول من المردود والمحمود من المذموم.

قواعد مهمة لفهم القرآن الكريم

شرح العلامة الزركشى قول سيدنا ابن عباس – رضى الله عنه–: التفسير أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى[2]. قد ضمن شرحه ضوابط جديرة بالتطبيق– فقال: والرابع ما يرجع إلى اجتهاد العلماء وهو الذى يغلب عليه إطلاق التأويل وهو صرف اللفظ إلى ما يئول إليه فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذى لا يجوز لغير العلماء

[1] الإتقان٤/٢٠٠ والبحر المحيط لأبي حيان ١/٥

[2] تفسير عبدالرزاق ١/١٥٣تفسير الطبري دار المعرفة بيروت ١/٢٦ الإتقان ٢/٤٧٤

الاجتهاد فيه وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه.

وكل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان

أحدهما أن يكون أحدهما أظهر من الآخر فيجب الحمل على الظاهر إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه

الثاني أن يكونا جليين والاستعمال فيهما حقيقة وهذا على ضربين أحدهما أن تختلف أصل الحقيقة فيهما فيدور اللفظ بين معنيين هو في أحدهما حقيقة لغوية وفى الآخر حقيقة شرعية فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينته على إرادة اللغوية[١] نحو قوله تعالى (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)التوبة: ١٠٣.

وكذلك إذا دار بين اللغوية والعرفية فالعرفية أولى لجريانها على اللغة[٢] ولو دار بين الشرعية والعرفية فالشرعية أولى؛ لأن الشرع ألزم الضرب الثاني لا تختلف أصل الحقيقة بل كلا المعنيين استعمل فيهما، في اللغة أو في الشرع أو العرف على حد سواء.

---

[١] شرح الكوكب المنير ٢٩٩/١ لتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة الثانية. وشرح تنقيح الفصول للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ص١١٤ البرهان للزركشي ١٦٧/٢

[٢] البرهان للزركشي ١٦٧/٢ شرح تنقيح الفصول ص١١٤

وهذا أيضا على ضربين أحدهما أن يتنافيا اجتماعاً ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء؛ حقيقة في الحيض والطهر، فعلى المجتهد أن يجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه؛ فإذا وصل إليه كان هو مراد الله في حقه وإن اجتهد مجتهد آخر فأدى اجتهاده إلى المعنى الآخر كان ذلك مراد الله تعالى في حقه؛ لأنه نتيجة اجتهاده وما كلف به. فإن لم يترجح أحد الأمرين لتكافؤ الأمارات فقد اختلف أهل العلم: فمنهم من قال يخير في الحمل على أيهما شاء ومنهم من قال يأخذ بأعظمهما حكما. ولا يبعد اطراد وجه ثالث وهو أن يأخذ بالأخف كاختلاف جواب المفتين.

الضرب الثاني ألا يتنافيا اجتماعاً فيجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة وأحفظ في حق المكلف إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما وهذا أيضا ضربان أحدهما أن تكون دلالته مقتضية لبطلان المعنى الآخر فيتعين المدلول عليه للإرادة.

الثاني ألا يقتضى بطلانه وهذا اختلف العلماء فيه فمنهم من قال يثبت حكم المدلول عليه ويكون مراداً ولا يحكم بسقوط المعنى الآخر بل يجوز أن يكون مراداً أيضاً، وإن لم يدل عليه دليل من خارج؛ لأن موجب اللفظ عليهما، فاستويا في حكمه. وإن ترجح أحدهما بدليل من خارج.

ومنهم من قال ما ترجح بدليل من خارج أثبتُ حُكْماً من الآخر لقوته بمظاهرة الدليل الآخر فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل والله أعلم[1].

هذا ما أتحفنا به العلامة الزركشي وزاد المحققون ما لابد من معرفته فقد قال شارح الكوكب المنير[2]: " وَيَجِبُ حَمْلُ اللَّفْظِ "إذَا دَارَ بَيْنَ كَوْنِهِ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا، مَعَ الاحْتِمَالِ" عَلَى حَقِيقَتِهِ ". كالأسد مثلا... فإنه للحيوان المفترس حقيقة، وللرجل الشجاع مجاز. فإذا أطلق ولا قرينة؛ كان للحيوان المفترس؛ لأن الأصل الحقيقة، والمجاز خلاف الأصل[3].

" و"كَذَلِكَ إذَا دَارَ الأَمْرُ فِي اللَّفْظِ بَيْنَ جَرَيَانِهِ عَلَى عُمُومِهِ أَوْ تَخْصِيصِهِ، فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى" عُمُومِهِ "؛ لأَنَّ الأَصْلَ بَقَاءُ الْعُمُومِ[4]. نحو قوله تعالى(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ) ٢٣: النساء. يدخل في عمومه الحُرتان والأمتان، وإذا كانت إحداهما أمة والأخرى حرة، فلا يخصص بالحرتين.

---

[1] البرهان للزركشي ٢/١٦٦-١٦٨

[2] تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى: ٩٧٢هـ)

[3] شرح الكوكب المنير ١/٢٩٤شرح تنقيح الفصول ص١١٢

[4] قال الكافيجي: أكثر ما وقع في القرآن مذكور على العموم والإطلاق بلا تعرض للخصوصيات فيكون أحكام الجزئيات مندرجة تحت أحكام العمومات. اندراجها تحتها، فيعرف من معرفة العمومات أحكام الجزئيات على سبيل الإجمال، ولهذا ما ذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه الصريح على الصحيح إلا زيد " التيسير في قواعد علم التفسير ص٩٠، ٩١.

" و"كَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُشْتَرَكًا أَوْ مُفْرَدًا. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى" إِفْرَادِهِ "[١]. كالنكاح. فإنه مشترك بين الوطء وسببه–الذي هو العقد–، فيحمل على الوطء دون العقد، أو على العقد دون الوطء، لا على الاشتراك.

" و"كَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُضْمَرًا أَوْ مُسْتَقِلاًّ. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى" اسْتِقْلالِهِ "وَهُوَ عَدَمُ التَّقْدِيرِ. [٢] نحو قوله (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ (٣٣) النساء. فبعض العلماء يقدر: يقتلوا إن قتلوا، أو تقطع أيديهم إن سرقوا. وبعضهم يقول: الأصل

---

[١] قال ابن هشام عن الاشتراك: والأصل عدمه لما فيه من الإلباس، حتى إن قوماً نفَوْهُ، ثم المثبتون له يقولون: متى عارضه غيره مما يخالف الأصل كالمجاز قُدِّم عليه. (مغني اللبيب ومعه حاشية الدسوقي ٢٣٩/٢) قال السيوطي ولا خلافَ أنَّ الاشتراك على خلاف الأصل. (المزهر ٣٧٠/١) تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم على أحمد البيجاوي الناشر دار التراث،

[٢] يقول الدكتور عبد العظيم المطعني: وقد أجمعوا على أن الحذف لا يصار إليه إلا إذا بقيت في الكلام قرينة تدل على المحذوف. حتى لا يصبح البيان ضرباً من التعمية والغموض، لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة. وهذا الشرط ضروري لا يحمد إغفاله، لأن الحذف إذا لم يكن فيه ما يدل على المحذوف ـ ويعينه أحياناً ـ جار على اللفظ والمعنى. والألفاظ ـكما قالوا ـ أوعية المعاني فلا بد من ملاحظتها مذكورة أو محذوفة دلّ عليها دليل. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٥– مكتبة وهبه – الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م. شرح الكوكب المنير ٢٩٥/١، شرح تنقيح الفصول صـ١١٢

الاستقلال، وهو عدم التقدير. وهاك مثال أوضح ففي قوله تعالى" اتَّبِعُوا مَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ "الأعراف: ٣. قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا، أيها الناس، ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم، ولا تتبعوا شيئًا من دونه يعني: شيئًا غير ما أنزل إليكم ربكم... فإن قال قائل: وكيف قلت: " معنى الكلام: قل اتبعوا "، وليس في الكلام موجودًا ذكرُ القول؟ قيل: إنه وإن لم يكن مذكورًا صريحًا، فإن في الكلام دلالة عليه، وذلك قوله: (فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به)، ففي قوله: " لتنذر به "، الأمر بالإنذار، وفي الأمر بالإنذار، الأمرُ بالقول، لأن الإنذار قول. قلت وما الداعي لهذا التقدير والكلام مفهوم من غير الحاجة له[1].

" وَكَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُقَيَّدًا أَوْ مُطْلَقًا. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى "إِطْلاقِهِ". نَحْوُ قوله تعالى (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ (٦٥) الزمر. فبعض العلماء يقيده بالموت على الشرك، وبعضهم يحمله على إطلاقه؛ لأنه الأصل، فيكون مجرد الشرك محبطاً لما سبقه من الأعمال.

[1] الطبري ١٢/٢٩٨

"وَ" كَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ زَائِدًا أَوْ مُتَأَصِّلاً فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى "تَأْصِيلِهِ" [1]، نحو قوله تعالى (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ(١)سورة البلد. قيل لا زائدة، وأصل الكلام: (أقسم بهذا البلد) وقيل ليست بزائدة؛ لأن الأصل في الكلام التأصيل، ويكون المعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت لست فيه، بل لا يعظم ولا يصلح للقسم إلا إذا كنت فيه.

"وَ" كَذَا إِذَا دَارَ الأَمْرُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُؤَخَّرًا أَوْ مُقَدَّمًا. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى "تَقْدِيمِهِ" [2]نحو قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا... (٣)سورة المجادلة. فبعض العلماء يقول: إن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: الذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة، ثم يعودون لما كانوا قبل الظهار سالمين من الإثم بسبب الكفارة، وعلى هذا فلا يكون العود شرطا في وجوب الكفارة. وبعضهم يحملها على الأصل وهو الترتيب وعلى هذا فلا تجب الكفارة إلا بالظهار والعود.

"وَ" كَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤَكِّدًا أَوْ مُؤَسِّسًا. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى "تَأْسِيسِهِ" [3]. نحو قوله (فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) من أول سورة

---

[1] قال المرادي: ما أمكن تخريجه على غير الزيادة لا يحكم عليه بالزيادة) الجني الداني صـ ٥٢ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد ندين فاضل المكتبة العربية بحلب ١٣٩٣.

[2] التسهيل لابن جزي ٩/١ شرح الكوكب المنير ٢٩٦/١، شرح تنقيح الفصول صـ١١٢

[3] قال الألوسي التأسيس خير من التأكيد ٩٠/٤، ٧١/٨ ١٤/ ١٩٣شرح الكوكب المنير ٢٩٨/١، شرح تنقيح الفصول صـ١١٢

الرحمن إلى آخرها.. فإن جعل تأكيدا؛ لزم تكرار التأكيد على ثلاث فيحمل في كل محمل على ما تقدم ذلك التكذيب. وكذلك القول في (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) في سورة المرسلات.. فيكون الجميع تأسيساً لا تأكيداً،

"وَ" كَذَا إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُتَرَادِفًا أَوْ مُتَبَايِنًا[1]. نحو قوله صلى الله عليه وسلم-: "لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهَى" [2] فَالنُّهَى: جَمْعُ نُهْيَةٍ -بِالضَّمِّ- وَهِيَ الْعَقْلُ، فبعض العلماء فسر "أولو الأحلام" بالعقلاء، فيكون اللفظان متباينين، فإنه يحمل على تباينهما. فَيُحْمَلُ اللَّفْظُ مَعَ احْتِمَالِ حَقِيقَتِهِ عَلَيْهَا "دُونَ مَجَازِهِ، وَ" عَلَى عُمُومِهِ دُونَ "تَخْصِيصِهِ، وَ" عَلَى إِفْرَادِهِ دُونَ "اشْتِرَاكِهِ، وَ" عَلَى اسْتِقْلالِهِ دُونَ "إِضْمَارِهِ، وَ" عَلَى إِطْلاقِهِ دُونَ "تَقْيِيدِهِ، وَ" عَلَى تَأْصِيلِهِ دُونَ "زِيَادَتِهِ، وَ" عَلَى تَقْدِيمِهِ دُونَ "تَأْخِيرِهِ، وَ" كَذَا إِذَا دَارَ الأَمْرُ بَيْنَ كَوْنِ اللَّفْظِ مُؤَكِّدًا أَوْ مُؤَسِّسًا. فَإِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى تَأْسِيسِهِ دُونَ "تَوْكِيدِهِ. وَ" عَلَى تَبَايُنِهِ دُونَ "تَرَادُفِهِ". "وَ" كَذَا إِذَا دَارَ الأَمْرُ

[1] لا يقال بالترادف في القرآن الكريم فليس فيه لفظان مترادفان تمام الترادف، وإنما يقوم الأسلوب القرآني على مراعاة أدق الفروق بين الألفاظ، ويضع كل كلمة فى موضعها المناسب تماماً. "الطائف الإعجاز صـ٥٢ عبدالحميد البطاوى. الناشر دار روائع.

[2] صحيح مسلم ١/٣٢٣، سنن أبي داود ١/ ٢٥٤، الترمذي رقم: ٢١١قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. سنن النسائي ٢/ ٨٧، سنن ابن ماجة ١/ ٣١٣. ومسند إمام أحمد رقم: ٤١٤٢، ١٦٤٨٢.

بَيْنَ نَسْخِ الْحُكْمِ وَبَقَائِهِ... إلاَّ لِدَلِيلٍ رَاجِحٍ "يَدُلُّ عَلَى خِلافِ مَا قُلْنَا، أَنَّ اللَّفْظَ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، فَيُعْمَلُ بِهِ وَيُتْرَكُ مَا ذَكَرْنَاهُ. [1].

تتمة: المعاني المحتملة تعتبر مرادة.

فالقرآن حمال ذو وجوه فنحمله على أحسن وجوهه ولكن من الممكن أن نجمع أكثر من وجه عند التفسير هذا ما حققه شيخنا الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى رحمه الله رحمة واسعة وقد استدل بأقوال العلماء في ذلك. قال الجصاص: ... وكون ذلك مراداً بالآية لا ينفي أن تكون المعاني التي تأول عليها الآخرون مرادة أيضاً، إذ هي غير متنافية. وقال ابن حزم فإذا وقعت اللفظة في اللغة على معنيين فصاعداً وقوعاً لم يجز أن يقتصر بها على أحدهما بلا نص ولا إجماع. وكلامه في المشترك.

قال الراغب: والعبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك حقيقة فيهما أو مجازاً في أحدهما متى تنافى معناهما في المراد لم يصح أن يرادا معاًًًًً بعبارة واحدة، نحو أن يقال صل صلاة واحدة-على سبيل الوجوب والندب. وإذا لم يتنافيا صح ذلك نحو اللمس المراد به المسيس والمس. قال العز بن عبدالسلام في فصل" الجمع بين الحقيقة والمجاز "والجمع بينهما- عند من رآه-: مجاز؛ لأنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له، فإنه وضع للحقيقة وحدها، ثم استعمل فيها وفي المجاز

[1] شرح الكوكب المنير ١/٢٩٤ -٢٩٩ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ، الدخيل في التفسير ١/٣٥٦-٣٦٠

وقال عبدالرحمن بن عيسى المرشدي (ت١٠٣٧) وقد يستعمل اللفظ في معنى، ويقصد به إفادة معان كثيرة، ولا مانع من ذلك[١].

تنبيه: ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة

نلاحظ مما سبق أن كل العلوم تخدم القرآن الكريم وأن علماء كل فن عرفوا قدر القرآن فالتحكم بالقواعد والتمسك بها إنما جعلت لحفظ هيبة العلم ولتكون مرشداً للعلماء ولكن البعض قد يتشاغل بتلك القواعد فيحكم على أمر بالجواز أو غيره ثم نجد أن القرآن الكريم قد خالف تلك القاعدة أو هذه القضية فحري بالعالم أن يذعن للقرآن لأنه هو الحكم على اللغة ولسنا متعبدين بإتباع مذهب ما بل متعبدين بإتباع القرآن وهذا تجده في دراسة العلامة محمد عبد الخالق عضيمة وهذا رأي المحققين قال رحمه الله: للنحويين قوانين كثيرة لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن فمنعوا أساليب كثيرة جاء نظيرها في القرآن ودراسته الخطيرة تدل على ذلك ونذكر مثالاً نتعلم منه أن القرآن حجة قاطعة.

فعند الحديث عن تذكير المؤنث قد أجاز النحويون تذكير العامل وتجريده من تاء التأنيث قياساً في عدة مواضع منها إذا كان الفاعل ظاهراً متصلاً بعامله مجازيَّ التأنيث جاز الوجهان لكثرة ورودهما في القرآن الكريم أما التذكير فكقوله تعالى (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

[١] التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد صـ ١٤١-١٥٨

مَكرِهِمْ) (وجُمِعَ الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) ومثال التأنيث" قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ: ٥٧ يونس "و" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ الممتحنة "وإن فصل بغير(إلا) جاز الوجهان كذلك.

هذا وقد نقل الدماميني عن النحويين أن حذف علامة التأنيث حينئذ أجود ثم قال قال والذي يظهر لي خلاف ذلك فإن الكتاب العزيز قد كثر فيه الإتيان بالعلامة عند الإسناد إلى ظاهر غير حقيقي كثرة فاشية[١].

ولا نترك تلك الدراسة حتى نقطف منها أهم ما نوصى به أنفسنا ألا وهو الحذر كل الحذر من الطعن في القراءات قال رحمه الله عن بعض علماء اللغة والنحو: وقال عن النحويين كثر منهم تلحين القراء الأئمة يستوى عندهم في ذلك المتواترة وغيرها ثم بحث ذلك مفصلاً وذكر أمثلة كثيرة فتظن أنه لم يسلم من تلحينهم أحد من أئمة اللغة بل ومن المفسرين فلينظر ثَمَّ رحم الله الجميع. [٢]

تتمة: وجوه الترجيح اثني عشر عن ابن جُزى الكلبي

قال- رحمه الله- وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر

الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال الثاني

---

[١] مستفاد من "تذكير المؤنث بين القياس والسماع" د عبدالله الحسيني صـ٧-١٥ شرح شذور الذهب صـ٢١٩-٢٢٤ حاشية الصبان ١٩/٣

[٢] دراسات لأسلوب القرآن موضوع تلحين القراء ١٩/١-٩٠

حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح

الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق

السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده[1]

السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه

---

[1] بل هذا أصل من أصول التفسير ونوع من أنواع تفسير القرآن بالقرآن فعلى المفسر مراعاة سياق الكلام وسباقه ولحاقه وفائدة إرشادات السياق: يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته). بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر مكتبة القاهرة ٤/ ١١

الثامن تقديم الحقيقة على المجاز فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة وقد اختلف العلماء أيهما يقدم فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح

التاسع تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص العاشر تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدل دليل على التقييد الحادي عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار. الثاني عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير[1].

ملخص ما سبق: لم يأل علماؤنا جهداً في العناية بالقرآن وتفسيره وذكر القواعد والأصول التي يجب مراعاتها عند تفسير القرآن الكريم ولكل جهده وأسلوبه يقول شيخنا الدكتور عبدالغفور محمود مصطفي رحمه الله تحت عنوان قانون التفسير

رعاية حق القرآن

[1] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/١٥، ١٦.

رعاية حق القرآن تقتضي من المفسر شمول النظرة للقرآن، وتبين معاني قراءاته المختلفة، ومعرفة بيانه لنفسه بأقسامه المستقرأة، المسماة بأسماء مصطلح عليها عند الأصوليين، ودلالة سياقه، ومراعاة عرفه، وكشف أمر مشكله، وموهم الاختلاف والتناقض فيه، ورعاية أسباب نزوله، والتقيد بما يترتب على رسمه في المصاحف، والاهتمام بمعانيه التضمنية والالتزامية، فهذه تسع نقاط في عنصر رعاية حق القرآن[١].

[١] التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص١٩١. وشرح رحمه الله هذه النقاط ومثل لها من صـ١٩١-٢٥٣

المبحث الثاني

## ضوابط وتطبيقاتها

### المطلب الأول **في المباحث العربية**

قد ذكرنا آنفاً بعض القواعد اللغوية التي يجب مراعاتها عند تفسير القرآن الكريم وقد نصحنا المحققون من علماء الأمة أن نلتزم بها ولنعلم أننا نتدبر المعجزة الكبرى فلنعظم ذلك الكتاب باختيار أفضل تفسير وترجيح أقوى تأويل فالقرآن هو الذي يقوى القاعدة وهو الذي يصوب الأصل وهو الذي يحي اللغة قال ابنُ خالويه في شرح الفصيح: قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وَرَدت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلافَ في ذلك. [1] قال الزجاج القرآن الكريم محكم لا لحن فيه بشئ يتكلم العرب بأجود منه في الإعراب" [2]

قال الزمخشرى: عندتفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾[الزمر: ٦٧]وقيل: مطويات بيمينه مفنيات بقسمه، لأنه أقسم أن يفنيها، ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله، ثم يبكى حمية لكلام الله المعجز بفصاحته،

---

[1] المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٦٨) لغة القرآن ٢٤٦

[2] لغة القرآن ٢٤٦ نقلا عن اللغة والنحو ١٠٦ المواهب الفتحية لحمزة فتح الله ٨٢/٢

وما مني به من أمثاله، وأثقل منه على الروح، وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله، واستحسانهم له، وحكايته على فروع المنابر، واستجلاب الاهتزاز به من السامعين. [1] وقد وقفت على نصائح ثمينة أتحفنا بها العلامة ابن هشام الذي قِيل عنه إنه أنحى من سيبويه فدونك تلك الدرر الغالية:

قال ابن هشام: وقد زلت أقدام كثير من المعربين راعوا في الإعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى: وأولُ واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفرداً أو مركباً، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

أمثلة متى بُني فيها على ظاهر اللفظ ولم ينظر في مُوجب المعنى حصل الفساد:

قوله تعالى (ألَمْ ترَ إلى الملأ منْ بني إسرائيلَ منْ بعدِ موسى إذْ قالوا) فإن المتبادر تعلقُ إذ بفعل الرؤية، ويفسده أنه لم ينته علمه أو نظره إليهم في ذلك الوقت، وإنما العامل مضاف محذوف، أي ألم تر إلى قصتهم أو خبرهم، إذ التعجب إنما هو من ذلك، لا من ذواتهم.

قوله تعالى: (وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ)٢٨٢البقرة. فإن المتبادر تعلق إلى "تَكْتُبُوهُ"، وهو فاسد، لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدِّين، وإنما هو حال، أي مستقراً في الذمة إلى أجله.

---

١ الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٤٤)

قوله تعالى: (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ (٨٧) هود. فإنه يتبادر إلى الذهن عطف أن نفعل على أن نترك، وذلك باطل، لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، وإنما هو عطف على ما، فهو معمول للترْك، والمعنى أن نترك أن نفعل، نعم من قرأ تفعل وتشاء - بالتاء لا بالنون - فالعطف على أن نترك، وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى أنْ والفعل مرتين، وبينهما حرف العطف.

من ذلك الجهة الثانية: أن يراعي المعرب معنى صحيحاً، ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ من ذلك قول بعضهم (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) سورة النجم. إن ثمودا مفعول مقدم وهذا ممتنع لأن لـ(ما) النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها بل هو معطوف على (عادا) أو على تقدير وأهلك ثمودا.

مثال ثان قول الحوفي إن الباء من قوله (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) سورة النمل. متعلقة بـ(نَاظِرَةٌ) وهو باطل؛ لأن الاستفهام له الصدر بل هو متعلق بما بعده. ومثله قول ابن عطية في (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) سورة المنافقون: إنّ أنّى ظرفٌ لقاتلهم الله، وأيضاً فيلزم كون يؤفكون لا موقع لها حينئذ، والصوابُ تعلقها بما بعدها.

الجهة الثالثة: أن يخرج على ما لم يثبت في العربية، وذلك إنما يقع على جهْلٍ أو غفلةٍ، فلنذكر منه أمثلة: أحدها: قول أبي عبيدة في (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ)٥: سورة الأنفال: إن الكاف حرف قسم، وإن المعنى:

الأنفال لله والرسول الذي أخرج، وقد شنّع ابن الشجري على مكي في حكايته هذا القولَ وسكوتهِ عنه، قال: ولو أن قائلاً قال كالله لأفعلنّ لاستحق أن يبصق في وجهه.

ويبطل هذه المقالة أربعة أمور: أن الكاف لم تجيء بمعنى واو القسم، وإطلاق ما على الله سبحانه وتعالى، وربْطُ الموصول بالظاهر وهو فاعل أخرج، ووصْله بأول السورة مع تباعُدِ ما بينهما.

وقد يجاب عن الثاني بأنه قد جاء نحو (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥)سورة الشمس وعنه أنه قال: الجوابُ (يجادلونك) ويردّه عدمُ توكيدِه، وفي الآية أقوال أخر، ثانيها: أن الكاف مبتدأ، وخبره (فاتقوا الله)، ويفسده اقترانهُ بالفاء، وخُلُوّهُ من رابط، وتباعد ما بينهما. وثالثها: أنها نعت مصدر محذوف، أي يجادلونك في الحق الذي هو إخراجك من بيتك جِدالاً مثل جدال إخراجك، وهذا فيه تشبيه الشيء بنفسه، ورابعها – وهو أقرب مما قبله –: أنها نعت مصْدر أيضاً، ولكن التقدير: قل الأنفالُ ثابتةٌ لله والرسول مع كراهيتهم ثبوتاً مثلَ ثبوت إخراج ربك إياك من بيتك وهم كافرون، وخامسها – وهو أقرب من الرابع –: أنها نعت لحقاً، أي أولئك هم المؤمنون حقاً كما أخرجك، والذي سهّل هذا تقاربهما، ووصف الإخراج بالحق في الآية، وسادسها – وهو أقرب من الخامس – أنها خبر لمحذوف، أي هذه الحال كحال إخراجك، أي إن حالهم في كراهية ما رأيت من تفنيلك الغُزاة

مثلُ حالهم في كراهية خروجك من بيتك للحرب، وفي الآية أقوال أخر منتشرة.

قول بعضهم في (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)٢٤٦: سورة البقرة: إن الأصل: وما لنا وأن لا نقاتل أي ما لنا وترك القتال كما تقول مالك وزيداً ولم يثبت في العربية حذف واو المفعول معه.

الجهة الرابعة: وعلى المفسر أن يتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة ويخرج على القريب والقوي والفصيح فإن كان لم يظهر له إلا ذاك الوجه البعيد فله عذر، وإن ذكر الجميع فإن قصَدَ بيان المحتمل أو تدريب الطالب فحسنٌ، إلا في ألفاظ التنزيل، فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن إرادته، فإن لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسّف، وإن خرج على الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة، وترك الوجه القريب والقويَّ، لمجرد الإغراب على الناس وتكثير فهذا لا يجوز. قال ابن عرفة: والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ[١].

الأمثلة: قول جماعة في "وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) الزخرف.

(وَقِيلِهِ): إنه عطفٌ على لفظ (الساعة) فيمن خفضَ، وعلى محلها فيمن نصبَ، مع ما بينهما من التباعد.

---

١ القرطبي ١٢٠/١٦

وأبعدُ منه قولُ أبي عمرو في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) سورة فصلت: ٤١ إن خبره (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) سورة فصلت.

وقول بعضهم في (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)١٥٤: سورة الأنعام. إنه عطف على (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ) سورة الأنعام: ٨٤.

وأبعدُ منه قوله في (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ) سورة الذاريات: ٣٨ إنه عطف على (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) سورة الذاريات.

وأبعد من هذا قوله في (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ) سورة الصافات: ١٤٩ إنه عطف على (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) سورة الصافات: ١١ قال: هو معطوف على مثله في أول السورة وإنْ تباعدت بينهما المسافة، انتهى.

<u>والصواب خلاف ذلك كله.</u>

فأما (وقيلِهِ) فيمن خفض، فقيل: الواو للقسم وما بعده الجواب، واختاره الزمخشري، وأما من نصب، فقيل: عطف على (سِرّهم) أو على مفعول محذوف معمول لـ(يكتبون) أو لـ(يعلمون)، أي يكتبون ذلك، أو يعلمون الحق، أو أنه مصدر لقال محذوفاً، أو نصب على إسقاط حرف القسم، واختاره الزمخشري.

وأما (إنّ الذينَ كفروا بالذّكرِ) فقيل: الذي بدل من الذين في (إنّ الذينَ يُلحدونَ) والخبر (لا يخفون) واختاره الزمخشري، وقيل: مبتدأ خبره مذكور، ولكن حذف رابطه، ثم اختلف في تعيينه، فقيل: هو (ما يُقالُ لك) أي في شأنهم، وقيل: هو (لما جاءهم) أي كفروا به، وقيل (لا يأتيه الباطلُ) أي لا.

وأما (ثمَّ آتينا) فعطف على (ذلكمْ وصاكمْ به) وثم لترتيب الإخبار، لا لترتيب الزمان، أي ثم أخبركم بأنا آتينا موسى الكتاب.

وأما (وفي موسى) فعطفٌ على فيها من (وَتَرَكْنَا فِيهَا آَيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) سورة الذاريات.

قولُ الجماعة في قوله تعالى (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) سورة سبأ: إن فيه حذف مضافين، والمعنى علمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم، وهذا معنى حسن، إلا أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليلُ عليهما، والأولى أنّ تبين بمعنى وضح، وأن وصلتها بدلُ اشتمال من الجن، أي وضح للناس أن الجن لو كانوا إلخ.

قولُ بعضهم في (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى (١٨) سورة الإنسان: إن الوقف على تسمى هنا أي عيناً مسماة معروفة، وإن (سَلْسَبِيلًا) جملة أمرية أي: اسأل طريقاً موصلة إليها. ودون هذا في البعد قول آخر: إنه علم مركب كتأبّط شراً، والأظهر أنه اسم مفردٌ مبالغة في السلسال[1].

مراعاة الرسم

ومن الشروط التي فصلها السيوطي بعد أن ذكر ما نقلناه عن ابن هشام

---

١ مغني اللبيب للعلامة ابن هشام ومعه حاشية الدسوقي ١٦٦/٢-١٨٩ بتصرف حسب مقتضيات البحث هنا مطبعة المشهد الحسيني

مراعاة الرسم قال- رحمه الله -: أن يراعي الرسم: ومن ثم خطئ من قال في" سلسبيلا "إنها جملة أمرية أي سل طريقاً موصلة إليها لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

ومن قال في (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) سورة طه: ٦٣. إنها إن واسمها أي إن القصة وذان مبتدأ خبره لساحران والجملة خبر إن وهو باطل برسم إن منفصلة وهذان متصلة

ومن قال في (وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ (١٨) سورة النساء إن اللام للابتداء والذين مبتدأ والجملة بعده خبره وهو باطل فإن الرسم ولا ومن قال في أيهم أشد إن هم أشد مبتدأ وخبر وأي مقطوعة عن الإضافة وهو باطل برسم أيهم متصلة ومن قال في (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) سورة المطففين. إن هم ضمير رفع مؤكد للواو وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها والصواب أنه مفعول.

وعلى المفسر أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط ومن ثم خطئ الزمخشري في قوله تعالى (مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) سورة الناس. إنهما عطف بيان والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان.

وعليه أن يتأمل عند ورود المشتبهات ومن ثم خطئ من قال في (أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) سورة الكهف. إنه فعل تفضيل والمنصوب تمييز وهو باطل فإن الأمد ليس محصيا بل محصى وشرط التمييز المنصوب بعد أفعل كونه

فاعلا في المعنى فالصواب إنه فعل وأمدا مفعول مثل وأحصى كل شيء عددا[1].

ولن نستطيع أن نهى المبحث من غير أن نقتبس درراً من درر العلامة ابن القيم فقد ذكر قاعدة بالغة الأهمية واعتبرها أصل أصول التفسير فقال: وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه، وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوى الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن... بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانية فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها[2] ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم

---

١ الإتقان ٢/٢٦٦، ٢٦٧

٢ قال ابنُ خالويه في شرح الفصيح: قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وَرَدت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلافَ في ذلك. المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٦٨)

فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه وسنزيد هذا إن شاء الله تعالى بيانا وبسطا في الكلام على أصول التفسير فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله [١].

---

١ بدائع الفوائد لابن القيم ٣/٣٢، ٣٣

المطلب الثاني حول وجود الزائد في القرآن الكريم

كثيراً ما نجد في كتب التفسير أن كلمة كذا زائدة، زيدت للتأكيد، زيدت لتأكيد النفي فهل تستقيم هذه العبارة في كل مرة وهل لنا أن نبحث عن سر آخر نزيده على التأكيد إن لم يكن ذلك السر سبباً في رفضها أصلاً؟.

قاعدة: ما أمكن تخريجه على غير الزيادة لا يحكم عليه بالزيادة [1].

بادئ ذي بدء نقول: اتفق علماؤنا المحققون على أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى فإن الزائد قد يُفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك؛ لذا فر بعضهم إلى التعبير بدله بـ(التأكيد والصلة والمقحم [2]) وقد اختلف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن فالأكثرون على جوازه نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ولأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة ومنهم من أبى ذلك وقال هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضي عليها بالزيادة. قال-أي من أبى ذلك-: والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل لأنه عبث فتعين أن إلينا به حاجة لكن الحاجة إلى

١ الجنى الداني في حروف المعاني لابن أُمّ قَاسِم المرادي: صـ ٥٢

٢ قال الإمام القونوي: مقحم أي زائد، مقحم في الأصل اسم مفعول من أقحمه إذا رماه أو أدخله في شئ ثم تجوز به عن الزيادة والتعبير بالإقحام دون الزيادة للإشعار بأن له فائدة كتحسين اللفظ والتأكيد وإن لم يختل أصل المعنى بطرحه وكثيرًا ما يعبر عنه بالصلة في كلامه تعالى تأدبًا ولو عبر عنه بها لكان أولى) حاشية القونوي (١ / ١٠٩)

الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عده هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه. قال السيوطي: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصل المعنى المقصود أبتر خالياً عن الرونق البليغ لا شبهة في ذلك. ذكر الدسوقي نقلاً عن الدماميني: ليس بين الزيادة وجواز السقوط تلازم فقد يكون الحرف زائداً لازما [١]. ومعنى ذلك أنهم لا يعنون بالزائد أنه لا فائدة له في أمر الصناعة الإعرابية فقط أو على ركني الجملة أي أصل ما يتأدى به المعنى.

فالمراد بالزيادة: أنك لو حذفت الكلمة التي قيل بزيادتها لم يتغير الكلام عن معناه الأصلى. وإنما قلنا لم يتغير عن معناه الأصلى؛ لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد، ولم تكن الزيادة لغير معنى البتة، لأن التوكيد معنى صحيح، لأن تكثير اللفظ يفيد تقوية المعنى[٢]. وقال ابن يعيش: ليس المراد بزيادة الحرف –أنه قد دخل بغير معنى البتة، بل زيد لضرب من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح"... وقال أيضاً إنها لا تزاد إلا في موضع لا لبس فيه[٣]. قال أبو حيان: المختار عند حذاق النحويين أن الأسماء لا تزاد[٤]

---

١ حاشية الدسوقى على المغنى: ١٧٩/١

٢ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: ١ / ٢٤٩

٣ شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٨–١٣٧

٤ البحر ٥٤٤/٢

ولعل الذى أنكر وجود الزائد فى القرآن الكريم نظر إلي ما يسبق إلي الذهن من كلمة (الزيادة) وهو أن ذلك الشئ المزيد فى الكلام لغو وحشو لا فائدة له، وأن وجوده فى الكلام وعدم وجوده على سواء، وأنه من أجل ذلك يمكن الاستغناء عنه. وما هذا شأنه لا يليق بالكلام البليغ فضلا عن أبلغه وهو القرآن الكريم[1].

فلابد للكلمة أن تكون لها فائدة إن لم تكن من مقومات صلب المعنى فلا أقل من أن تكون تقوية وتأكيداً أو تمحيصاً لبعض ما تضمنه من معنى فالقول بوقوع كلمات زائدة في القرآن أمر هين لأن تلك الكلمات التي تُوصف بالزيادة مقصود بها تأدية معان لا تتحقق بدونها، وأن الوصف بالزيادة، ليس على المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق العام إنما هو اصطلاح خاص أما من زعم أن تلك الكلمة أو ذلك الحرف زائداً يعني أنه لا فائدة منها أو منه فهو مما لا ينبغي أن يلتفت إليه لكونه من الدخيل.

كقول من قال بزيادة الواو في قوله تعالى

(أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) البقرة: ٥

جوز بعضهم أن يكون (أولئك) الثانية خبرا لقوله تعالى ☹ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)٣: سورة البقرة. ووجود الواو غير مانع، لأنها زائدة ورد ذلك السمين الحلبي قائلا: وقولهم الواو زائدة لا يلتفت إليه.[2]

---

١ حاشية الشهاب ٢ / ١٣٣

٢ الدر المصون ١ / ٩١

وكذا من قال بزيادة عن في قوله تعالى

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ) الأنفال: ١

قال السمين: (سأل) تارة تكون لاقتضاء معني في نفس المسؤول، فتتعدى بـ (عن) كهذه الآية، وقد تكون لاقتضاء حال ونحوه، فتتعدى لاثنين نحوه سألتك مالا، وقد ادعى بعضهم أن السؤال – هنا – بهذا المعنى وزعم أن (عن) زائدة، والتقدير: يسألونك الأنفال، وهذا لا ضرورة تدعو إليه. [1]

ويبعد القول بالزيادة هنا الجواب بقوله تعالى(قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)١: الأنفال.

فالمراد به اختصاص أمرها وحكمها بالله تعالى ورسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – ومبنى القول بالزيادة أن السؤال استعطاء، ولو كان كذلك لماكان هذا جوابا له[2] فالراجح أن (عن)غير زائدة؛ لأن السؤال فيها عن الحكم لا العطاء، ولذا تعدى بـ (عن).

وكذا من قال بزيادة أن في قوله تعالى

---

١ الدر المصون: ٥ / ٥٥٥

٢ روح المعاني: ٩ / ٢٣٤)

(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) يونس: ١٠) أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف أى: أنه الحمد لله، والجملة الاسمية بعدها خبرها، وأن ومعمولها خبر آخر [١].

قال السمين الحلبي: وزعم الجرجانى أن (أَنِ) هنا زائدة، والتقدير وآخر دعواهم الحمد لله، وهي دعوى لا دليل عليها مخالفة لنص سيبويه والنحويين[٢].

*- (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) إبراهيم: ٥. (أن) إما مفسرة، أَنْ أَخْرِجْ: أى أخرج؛ لأن في الإرسال معني القول دون حروفه. أو مصدرية حذف قبلها الجار، لأن (أَرْسَلَ) يتعدى بالباء، والجار يطرد حذفه قبل(أَنْ)و(أنَّ)[٣]

---

١ الكشاف: ٢ / ٣٣١، المحرر الوجيز ٣ / ١٠٨ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٧٢/٢ لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت(٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد

الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م

مكان النشر لبنان البحر المحيط ٦ / ١٨، الدر المصون٦ / ١٥٦.

٢ الدر المصون: ١٥٦/٦

٣ البحر: ٦ / ٤٠٩، الدر المصون: ٧ / ٧٠، وحاشية الشهاب: ٥ / ٤٣٩، وروح المعانى: ١٣ / ٢٧٠

*- وكذا من قال بزيادة "لا" في قوله تعالى[1].

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) فصلت

تصوير المسألة

المعهود في اللغة العربية وهو الذي تقضي به أصولها-أنه في مقام التسوية بين أمرين-تُسلط أداة النفي على فعل الاستواء ثم يذكر الأمران بطريق عطف أحدهما على الآخر، أو بصيغة التثنية.

(فمن الأول)قوله تعالى(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) ٥٨: غافر.. وقوله سبحانه (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ (٢٠) الحشر. وقوله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)٩: الزمر، والاستفهام في هذه الآية- هَلْ يَسْتَوِي - إنكاري بمعنى النفي.

(ومن الثاني) - صيغة التثنية. -قوله عزوجل (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)١٢: فاطر

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ٢٩: الزمر. وذلك أن الاستواء من الأفعال التي لا تكتفي بفاعل واحد كالاختصام والاصطلاح والاقتتال كما قال ابن يعيش[1].

١ مستفاد من بحث للشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج رحمه الله تعالى بعنوان "درء مظاهر من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز" منشور بمجلة الأزهر السنة التاسعة والثلاثون جمادى الأولى ١٣٨٧- أغسطس ١٩٦٧. الصفحة رقم ٢٢٩-٢٣٩-

ولذلك يجب -عند الجري على مقتضى الظاهر-أن يقتصر على أداة نفي واحدة، وهو ما جاءت عليه الآيات السابقة...

نرجع إلى آية فصلت فنقول لو كان المراد مجرد نفي الاستواء بين الحسنة والسيئة لكان الأصل-وهو مقتضى الظاهر أن يقال: (ولا تستوي الحسنة والسيئة) فالعدول عن هذا الأصل لابد أن يكون لحكمة. غير القول بالتأكيد ثم إن القول بالزيادة تنافي المعنى المراد نعم الآية تدل أيضا على أن الحسنة لا تساوي السيئة ولكن ليس هذا وحده فهي لم تقل (ولا تستوي الحسنة والسيئة) كما جاءت آيات كثيرة بهذا الأسلوب.

من قال بالزيادة في تفسير الآية

قال النيسابوري: "لا" زائدة لتأكيد نفي الاستواء، والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة قط ومثالهما الإيمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف.

وقال أبو السعود: أي لا تستوي الخَصلةُ الحسنة والسيئةُ في الآثار والأحكام. ولا الثانيةُ مزيدةٌ لتأكيدِ النَّفي،

القول بالزيادة حكاه أحد رأيين، كل من ابن جرير وأبي حيان والزمخشري.

أما الرأي الآخر الذي قرره كل منهم

١ شرح المفصل ١٣٧/٨

فقال الطبري: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) فكرر لا والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة، لأن كلّ ما كان غير مساو شيئا، فالشيء الذي هو له غير مساو، غير مساويه، كما أن كل ما كان مساويا لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان، ولا فلان مساويا له، فلذلك كرّرت لا مع السيئة، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحا. -رأي الزيادة- وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: يجوز أن يقال: الثانية زائدة;(كما يقول قائل: لا يستوى عبدالله ولا زيد) يريد: لا يستوي عبد الله وزيد، فزيدت(لا) توكيدا، كما قال(لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ) أي لأن يعلم، وكما قال: (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ). [1]

ومعنى الوجه الأول الذي بسطه ابن جرير، واختاره رأيا له وصدر به الكلام أن لا الثانية ليست زائدة للتوكيد كما يرى بعض نحاة البصرة، ولكنها كررت مع السيئة لإفادة نفي مساواة السيئة للحسنة، كما أن لا الأولى أفادت نفي مساواة الحسنة للسيئة فكأن الآية تريد أن تقول

لا تساوي الحسنة السيئة، ولا تساوي السيئة الحسنة؛ فحذف من كل الجملتين ما صرح به في الأخرى. هذا هو رأي الامام الطبري وهو عجيب جدا، وغريب أن يثبت مثله تفسيرا للقرآن الكريم! على أن الآية لم تقل ولا

[1] الطبري ٢٤/٧٥

تساوى الحسنة ولا السيئة، حتى يكون هناك وجه -ولو غير وجيه-لذلك التخريج العجيب، وإنما الآية تقول(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) بصيغة الافتعال، التي هى صريحة في اشتراك الفاعلين، في معنى الفعل على سواء، والتي يتهافت معها من غير شك ما يراه ابن جرير، معنى الآية الكريمة؛ إذ يصير الكلام -على رأيه-(ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا تستوي السيئة والحسنة) وهذا شيئ لا يمكن قبوله على حال وإذا كان الشر بعضه أهون من بعض فالقول بزيادة لا الثانية في هذه الآية، أهون من القول بأصالتها، على الوجه الذي اختاره ابن جرير.

ثم ذكر- الشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج-رأي أبي حيان وشرحه بقوله وهذا معناه: أنه على هذا الوجه لا تكون لا زائدة للتوكيد؛ بل هي في موقعها مثل (لا) الأولى، تؤدي ما تؤديه هذه وذلك أن الحسنة جنس له أفراد متفاوتة، وكذلك السيئة جنس متفاوت الأفراد، فقوله تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ)أريد به نفي التساوي بين أفراد الحسنة نفسها، ثم قال سبحانه (وَلَا السَّيِّئَةُ) أي أنها لا تتساوى أفرادها أيضا، فهي متفاوتة كذلك، وهذا وجه وجيه جدير بالترجيح[1] ثم رجع إلى الزمخشرى وأثني على فهمه

---

١ وهو في تفسير الجلالين وتبعه شراحه

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)فاطر.

(لا) الأولى في قوله(وَلَا الظُّلُمَاتُ - وَلَا الظِّلُّ)هي أصلية تفيد معناها الأصلي الذي هو النفي فهي ليست زائدة ولأنها تفيد الفصل بين كل متقابلين، حتى لا يفهم أن نفي التساوي بين الأشياء الثمانية جملة وليس هو بين كل اثنين منها. وإنما الكلام هنا على لا الداخلة على المقابل الثاني في قوله(وَلَا النُّورُ -وَلَا الْحَرُورُ - وَلَا الْأَمْوَاتُ)" لا "هذه قال العلماء إنها زائدة لتأكيد النفي. قال الزمخشري: فإن قلت: لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها وتراً إلى وتر[١].

وذهب ابن عطية إلى نحو ما قاله الطبري في آية فصلت ولكن الآلوسي تعقبه فقال وزعم ابن عطية أن دخول لا على نية التكرار كأنه قيل: ولا الظلمات والنور ولا النور والظلما ت وهكذا فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل مذكور الكلام على متروكه، والقول بأنها مزيد لتأكيد النفي يغني عن اعتبار هذا الحذف الذي لا فائدة فيه. كما تعقبه أبو حيان بقوله: وما

١ الكشاف ٦١٧/٣

ذكر غير محتاج إلى تقديره، لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور، فأي فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانياً وادعاء محذوفين؟ وأنت تقول: ما قام زيد ولا عمرو، فتؤكد بلا معنى النفي، فكذلك هذا[1]. قلت ولكن هل هناك تأويل أفضل من القول بزيادتها؟ نعم هناك أفضل من هذا: الآية لم يكرر فيه النفي بل جاءت على مقتضى الظاهر، فقد اقتصر فيها على نفي واحد هو الذي سلط على فعل الاستواء، من غير أن يعاد ذلك النفي مع المقابل الثاني؛ لأن المقصود هو نفي مساواة الأعمى للبصير لم يقل في الآية: وما يستوى الأعمى ولا البصير، لأن هذا يفيد عدم استواء الأعمي في نفسه، وعدم استواء البصير في نفسه كذلك وهو غير المعنى المراد وحينئذ لا يكون التركيب الذي يصرح فيه بالنفي في المقابل الثاني صحيحا، ولا يقع مثله بالضرورة القرآن الكريم ما دام المقصود هو مجرد نفي التساوي بين الأمرين المتقابلين؛ لأن فعل الاستواء لا يكتفي بفاعل واحد كما نص على ذلك العلماء. أما بقية الآيات ف(لا) فيها ليست زائدة بل على نحو ما قرره الزمخشري في آية فصلت فإذا كان في الآية تقابل بين الظلمات والنور وبين الظل والحرور، وبين الأحياء والأموات، وكان مراداً

أن ينفي الاستواء بين كل متقابلين؛ فإن هناك معنى آخر لا يعارض ذلك المراد، بل يستتبعه بالطريق الأولى وذلك أن الظلمات الحقيقية الحسية،

---

١ الآلوسي ١٨٧/٢٢ البحر ٣٠٨/٧

متعددة، متفاوتة بالقوة والضعف، والشدة والخفة. وكذلك الظلمات المعنوية التي جعلت تلك تمثيلاص لها وهي الضلالات هي أنواع متفاوتة من غير شك. وكذلك النور الحسي والنور المعنوي الذي هو الهداية والإرشاد له أفراد متفاوتة بالقوة والضعف. ومثل ذلك يقال عن الظل والحرور، ومثله الأحياء والأموات -المراد بهم المؤمنون والكفار- كل منهم ذو مراتب ودرجات لذا أمكن أن يحمل نفي الاستواء في كل واحد من هذه المذكورات في الآيات، على أنه نفي استوائه في نفسه، أي نفي تساوي أفراده ذاتها ويكون ذلك أولى وأرجح مما قيل بزيادة" لا ". ثم يلزم من عدم تساوي أفراد النوع الواحد، أو الجنس الواحد، عدم التساوي بين النوعين أو الجنسين، بالطريق الأولى

*- آية غافر (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

قال الألوسي: وأعيدت (لا) في المسيء تذكيرا للنفي السابق لما بينهما من الفصل بطول الصلة ولأن المقصود بالنفي أن الكافر المسيء لا يساوي المؤمن المحسن وذكر عدم مساواة الأعمى للبصير توطئة له ولو لم يعد النفي فيه فربما ذهل عنه وظن أنه ابتداء كلام.

ولو قيل: ولا الذين آمنوا والمسيء لم يكن نصا فيه أيضا لاحتمال أنه مبتدأ و(قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ) خبره[1].

والقول الراجح: أنه قد نفيت في الآية المساواة بين الأعمى والبصير، أي بين الجاهل والعالم، أو بين المقلد والمستبصر؛ وجاء ذلك على مقتضى الظاهر، فلم تكرر فيه أداة النفي، ثم أريد نفي المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المسيء. أي بين المحسن في العقيدة والعمل وبين المسيء فيهما؛ لكن لم يصرح بأداة النفي مع أول المتقابلين، كما هو المعهود والأصل في ذلك، اعتمادا على ظهور المراد منه؛ فإن المعنى على تقدير النفي؛ كأنه قيل" ولا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "وذلك أن الحرف المقدر الذي لم يظهر في الكلام هو في الحكم كالظاهر المصرح به؛ ثم كرر النفي أي أتى به مع المقابل الثاني من الأمرين اللذين أريد نفي التسوية بينهما، فقيل: (وَلَا الْمُسِيءُ).

إنه لا مانع مطلقاً أن يقال (إن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مع المسيء متقابلان وأنه مراد في الآية نفي التسوية بينهما، ولكن الذي يمكن يمنع هو التزام أن يكون ذلك من طريق الحكم بزيادة (لا) في قوله تعالى(ولا المسيء) وذلك أنه يمكن تحصيل ذلك المعنى المراد وهو نفي التسوية بينهما مع التزام أن (لا) أصلية على نحو ما قال الزمخشري في قوله تعالى(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

---

١ روح المعاني ٨٠/٢٤

وَلَا السَّيِّئَةُ) ويكون ذلك محصلاً معنى آخر، يضاف إلى ذلك المراد بل يكون ممهدا ومساعدا على تحققه بالطريق الأولى. وبيان ذلك أن يقال: إن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قد نفى فيه استواء المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنفسهم؛ فإنهم أفراد كثيرون متفاوتون؛ في قوة الإيمان والعمل الصالح. ثم إن المقابل الثاني الذي هو المسيء في العقيدة والعمل، له أفراد كثيرون أيضاً متفاوتون في درجات الإساءة. فأريد نفي المساواة فيما بينهم، لقوله سبحانه: (وَلَا الْمُسِيءُ) ولا شك أن مجموع هذا وذاك يلزمه انتفاء المساواة بين المحسنين في العقيدة والعمل، والمسيئين فيهما؛ فإنه إذا ثبت أن النوع الواحد قد انتفت المساواة فيه نفسه، أي انتفى التساوي بين أفراده، فإنه يلزم انتفاء المساواة بين النوعين، أو بين أفراد النوعين، بالطريق الأولى. وهذه نتيجة لا يمكن الوصول إليها مع زيادة (لا).

على أنه يكفي أن يقال: إنه لا موجب مطلقا للقول بالزيادة، والأصل عدمها. بل إن وجود كلمة النفي في التركيب –مع تقدير أنها زائدة ليتوصل بذلك إلى معنى خاص من شأنه أن يعطي هذا التركيب صورة توهم غير المراد، وهذا شيئ لا ينبغي أن يُصار إليه ولا سيما في تفسير القرآن الكريم.

هذا وللعلامة الشيخ محمد عبدالله دراز بحث في غاية النفاسة بَيَّن فيه أن حرف الكاف في قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) سورة الشورى. ليس زائداً بل ذهب القول بأنه ضروري وله فائدته، بل لو

سقط من الجملة لسقطت معه دعامة المعنى أو لتهدم ركن من أركانه... فلينظر ذلك في كتابه المفيد النبأ العظيم [1].

المطلب الثالث حول عربية القرآن

" المعرب في القرآن "تحقيق القول فيما قيل إنه غير عربي[2]

بادئ ذي بدء نقول لا يُوثق بكل قول يُنسب إلى السلف، فقد يكون مكذوباً عليهم. وكذلك لا يشترط صحة كل قول نسب إليهم، فلا عصمة إلا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، هذا ما تعلمناه من شيوخنا، بل ومن بديهيات علومنا.

فهاك مثلاً شنع به ابن العربي على قائله وهو يستحق ما قاله ابن العربي وأكثر: ففي تفسير قوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) الزَّقُّومُ: كُلُّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ، يُقَالُ: تَزَقَّمَ الرَّجُلُ إذَا تناوَلَ مَا يَكْرَهُ. قال: وَيُحْكَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الزَّقُّومَ هُوَ التَّمْرُ وَالزُّبْدُ بِلِسَانِ الْبَرْبَرِ، وَيَا لِلَّهِ وَلِهَذَا الْقَائِلِ وَأَمْثَالِهِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْكِتَابِ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[3]. ولو وجدنا روايات عن سيدنا زيد بن ثابت الذي تعلم السريانية لكانت أولى بالقبول ولو كانت

---

١ مجلة الأزهر ٢٢٩-٢٤٠ النبأ العظيمص١٦٣-١٧٣ دار طيبة السعودية١٤٢١-٢٠٠٠

٢ للإمام السيوطي شغف في التوسع والإسهاب في الحديث عن المعرب فله: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، والمتوكلي فيما وافق من العربية اللغات الأعجمية. وفي الإتقان ومعترك الأقران والمزهر بل والدر المنثور الكثير والكثير ما قيل بعجمته. أو أنه من المعرب.

٣ أحكام القرآن ١٦٩١/٤

تلك الروايات عن مسلمة أهل الكتاب لقلنا عن معرفتهم بلغات السابقين ولكنها تروي عن التابعين وعن راو واحد تروي روايات كثيرة تتحدث عن عدة لغات مما يجعلنا نفقد الثقة فيها رواية ودراية

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم لا توجد فيه جُمل، غير عربية.

*- في حوار مع المهندس عبد المنعم حسين الغروري الذي أمضى ما يزيد على ربع قرن من البحث اللغوي ذكر أن كلمة إبليس لفظ عربي أصيل نحته العربي" أبى +أبلس "وهو ممنوع من الصرف للعلمية المزجية لا للعجمة. قال تعالى إلا إبليس أبى". هذا وقال ابن حجر إِبْلِيس اِسْم أَعْجَمِيّ عِنْد الْأَكْثَر، وَقِيلَ: مُشْتَقّ مِنْ أَبْلَسَ إِذَا أَيْأَسَ قَالَ اِبْن الْأَنْبَارِيّ: لَوْ كَانَ عَرَبِيًّا لَصُرِفَ كَإِكْلِيلٍ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يُصْرَف وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا لِقِلَّةِ نَظِيره فِي كَلَام الْعَرَب فَشَبَّهُوهُ بِالْعَجَمِيّ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَوَانِع الصَّرْف [١].

شرط تفسير العلم الأعجمي

ومع التأكيد على التمسك بعربية القرآن إلا أننا على يقين بوجود أسماء أعجمية كأسماء بعض الأنبياء فلا يخلط البعض ولا يفرط البعض في القول بأن هذه الأسماء معناها بالعربية كذا لأنها في أصلها غير عربية لذا نقول يجب ألا يلتمس العلم الأعجمي من غير لغة صاحب العلم

---

١ جريدة صوت الأزهر الجمعة ٢٠ من رجب ١٤٢٨ ٣ من أغسطس ٢٠٠٧ صـ ٩. العدد"٤١٠". فتح الباري ٤٧٤/٦

كمن فسر يوسف بأنها من الأسف كأن يوسف مشتقة من "يؤسف" لأن يوسف كان سببا في أسف أبيه. وكمن فسر "أيوب" بأنه الأواب أي كثير الرجوع إلى ربه. وكمحاولة اليهود لتفسير اسم سيدنا موسى على لغتهم مع أن الذي سماه هم آل فرعون فهو اسم هيروغليفي لا عبري. هذا وقد تطرق الشهاب للحديث عن معنى التوراة والإنجيل ثم قال: الظاهر أنهما أعجميان لا عربيان وعلى القول بعربيتهما فأمر الاشتقاق والوزن ظاهر وعلى الأوّل فلا معنى له على الحقيقة لأنه إمّا أن يشتق من ألفاظ أخر أعجمية ولا مجال لإثباته، أو من ألفاظ عربية فهو استنتاج للضبّ من الحوت، ولذا عده المصنف رحمه الله تعسفا، [1]يعنى محاولة تفسير معناه والقول باشتقاقه من العربية وهما أعجميان جمع بين نقيضين

وهذا بيان خطأ من حاول تفسير العلم الأعجمي بغير لغة صاحب العلم.

١-إبراهيم عليه السلام

يرى علماء العبرية أن (راب) يعني كثير وهام يعني جمهور

فمعناه عندهم(أب +كثير+جمهور) أي أبو جمهور كثير ولكن لا يصح عبريا أن تكون (كثير) صفة لما بعدها (جمهور)؛ لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف ولا يصح عبريا إعمال الصفة فيما بعدها كما أن(أب)مفرد لا يصح أن يوصف بالكثرة. والأفضل أن يقال إن (راب) صفة بمعنى كبير

١

تصف بها (الأب) على التوقير فيكون المعنى (أب كبير) ثم إن (هام) معناها (الناس) فالمعنى الأقرب للصواب في إبراهام هي (أب كبير للناس) وراب في العبرية على الاسمية لا الصفة بمعنى (الرئيس_ السيد _المعلم _الإمام) إذا المعنى إمام الناس[1].

قال القرطبي وإبراهيم تفسيره بالسريانية فيما ذكر الماوردي، وبالعربية فيما ذكر ابن عطية: أب رحيم. قال السهيلي: وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ، ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب راحم، لرحمته بالأطفال، ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيامة.

قال الألوسي: و(إبراهيم) علم أعجمي، قيل: معناه قبل النقل أب رحيم[2] وهذا الذي نقله القرطبي وذكره الألوسي لا دليل عليه ولعله من تفسير بالظن والظن لا يغني عن الحق شيئا. بل نقول إنه لا وجود لكلمة "رهيم" هذه لا في الآرامية ولا العبرية؛ لأن الرحمة في كلتا اللغتين بالحاء لا بالهاء كما يُظن[3].

٢-أيوب عليه السلام

١ العلم الأعجمي ١/٢٦٩-٢٧١

٢ القرطبي ٢/٩٦

٣ العلم الأعجمي ١/٩٥

أيوب يُنطق في العبرية (إيُّوب) بكسر الهمزة وتشديد الياء ممدودة بالضم لا بالواو والجذر(أيَبْ-يئَبَ) أصله من (ويب) العربي بمعنى الويل والضر فأيوب هو الضرير المتأذى المضرور (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) الأنبياء. وعبارة أني مسني الضر يصح أن تقول في العبرية "إيوب أني" أي "أنا أيوب متأيب"

ويجب التنبيه إلى التعجيل في التفسير بالتشابه والتغاير ففي قوله تعالى (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)سورة ص. فيقال إنه أيوب أي أواب ولكن ذلك لا يصح لأن سليمان عليه السلام وصف كذلك قال تعالى(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠). سورة ص. و الطريقة المثلى في التفسير أن ترجع إلى لغة صاحب الاسم العلم وتستقصي معاني هذا الاسم في لغته هو [١].

٣- "بابل" من خرافات أهل الكتاب أنها سميت بابل لتبلبل الألسنة فقد ذكر القرطبي: واختلف في تسميته ببابل، فقيل: سمي بذلك لتبلبل الألسن بها حين سقط صرح نمرود. وقيل: سمي به؛ لأن الله تعالى لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم من الأفاق إلى بابل، فبلبل الله ألسنتهم بها، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد. والبلبلة: التفريق... بل روى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتني قرية

١ العلم ٢/١٩٨-٢٠٢

وسماها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض. ويدل على خطأ ذلك القول الاختلاف وعدم مطابقته للواقع فاللغات أكثر مما قيل ثم إن ذلك من دلائل قدرة الله قال تعالى(وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) سورة الروم.
والحق أنها من البابلية "باب+ايلو" أي "باب+إل" يعني باب الله، سهلت همزتها على المزجية.

قال الطاهر بن عاشور: وبابل بلد قديم من مدن العالم وأصل الاسم باللغة الكلدانية "باب إيلو" أي باب الله ويرادفه بالعبرانية باب إيل [١].

٦- نوح عليه السلام:

"نوح" في القرآن هي تعريب "نوح" في التوراة، التي تنطق في العبرية مدا بالضم بعده فتح (نُو- وَح)، ومن هنا كتابتها بالإنجليزية Noah. وهي في العبرية من الفعل العبري "ناح/ينوح"، مشتقة على المصدر أو اسم الفعل، فهي "نوح" (نُو- وح). ومعناه في العبرية: البُقيا والتلبث - الدعة والسكون - الكف والتوقف - الراحة والاسترواح والتنعم. وهو في العبرية والآرامية سواء.

ويمكن أن ترد هذه المعاني جميعا إلي معني الفعل الرئيس، وهو البُقيا والتلبث.

١ القرطبي ٥٦/٢ التحرير والتنوير ٦٤١/١ العلم الأعجمي: ١٩٥/١-١٩٧

من "النُّواح"، كما ظن البعض، ولم يوفقوا فيه، فليس في "ناح" العبري من معاني "النواح" شئ، وإما هو "ناخ" العربي بخاء منقوطة، من الإناخة والتنوخ، أي التلبث والبقيا، وهو الصحيح؛ لأن هذا هو المعني الرئيسي للفعل العبري "ناح/ ينوح". [1].

٧- يُوسُفُ عليه السلام

وفي يوسف ست لغات أو ستة أوجه ضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وبتركه والفصيح الذي جاء به القرآن ضمها بلا همز وهو اسم أعجمي والصواب أنه لا اشتقاق له قال النووي: ولبعض المفسرين وغيرهم تخبيط في اشتقاقه، وقد مر بيان خطأ أنها مشتقه من الأسف ولعل الصواب أن يوسف أصلها (أسف)في العبرية بمعنى الجمع واللمّ والإيواء والضيافة فمعنى يوسف أنه الجامع بني يعقوب في مصر الذي استضاف وآوى والآوي المضيف هو التفسير القرآني قوله عز وجل: (وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) (٦٩) سورة يوسف،، ومرة أخري في قوله عز وجل: (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) (٩٩) سورة يوسف، يوسف في هاتين الآيتين يعني الذي استضاف وآوى، وهو (الآوي المضيف)وهو علم يلخص أبلغ تلخيص دور يوسف عليه السلام في تاريخ بني إسرائيل ليس يوسف من الأسف وليس با لضرورة يزيد. القرآن يدلك علي معني اسم "يوسف" عليه

---

١ العلم الأعجمي ١/٢٣٢، ٢٣٣

السلام بفعل صدر منه- الإيواء والاستضافة- كان بحق محور دوره عليه السلام في تاريخ بني إسرائيل، وكأن الاسم يلخص لك هذا الدور أصدق تلخيص: كان يوسف لبني إسرائيل في مصر نعم "الآوي- المضيف" [١].

*- "يَحْيى" قَوْلُهُ تَعَالَى: (بِيَحْيى) كَانَ اسْمُهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ حَيًّا، وَكَانَ اسْمُ سَارَّةَ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسَارَةَ، وَتَفْسِيرُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَلِدُ، فَلَمَّا بُشِّرَتْ بِإِسْحَاقَ قِيلَ لها: سارة، سماها بِذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ نَقَصَ مِنَ اسْمِي حَرْفٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فَقَالَ: (إِنَّ ذَلِكَ الْحَرْفَ زِيدَ فِي اسْمِ ابْنٍ لَهَا مِنْ أفضل الأنبياء اسمه حيي وَسُمِّيَ بِيَحْيَى). ذَكَرَهُ النَّقَّاشُ[٢]

شبهة تفسير القرآن بالهيروغليفية

لم ننته بعد من تحقيق القول فيما قيل إنه معرب فإذا بطامة أخري تظهر في عصر الجُرأة على الدين فقال قائلهم إنه يفسر القرآن باللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)!. ولا يخفى علينا أهمية التأكيد على عربية القرآن وإن كان الأمر لا يحتاج إلى تأكيد أو تنبيه ولكن ماذا تقول لمن تخطي كل آداب البحث ومبادئ العلم بل تجاوز في غيه حتى زعم أنه سيفسر القرآن باللغة المصرية القديمة ولن نطيل الكلام ولكن سنجاريه في قوله ونقول ولو أن إنسانا قال إن ما فهمه الناس مما كتبه شكسبير. خطأ بل إنني فهمته بطرقة

---

١ العلم الأعجمي: ١/ ٩٤، ٣٢١-٣٢٣

٢ تفسير القرطبي (٤/٧٥، ٧٦)

صحيحة أنهم يقولون canبمعنى يستطيع ولكني اكتشفت أنها فعل ماض ناقص، وأن معني heهو بل هي ومعنى god حسن بل بمعناها الأمر بالجود وهكذا عشرات بل مئات الكلمات بل ومن مختلف اللغات وبذلك سنعيد شرح شعر ونثر وليم شكسبير وبرنارد شو وجوته وسوف نغير فهم الناس لنظريات نيوتن وفاراداي وأينشتين وغيرهم فهل يتقبل أحد ذلك الجهل العجيب، وكذلك من يزعم أنه وجد بعض النطق المتشابه من بعض الكلمات القرآنية مع بعض الكلمات الهيروغليفية فظن أنه جاء بما لم يكن عند أحد ونعم لم يكن عند أحد غيره هذا الجهل العجيب والجرأة المتناهية، فمن هذا الذي يستطيع أن يشرح كتابا بلغة غير اللغة التي كتب بها.

ابطال مزاعم الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم[١]:

هذا عنوان كتاب شيخنا العلامة الشيخ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد فقد وجد في هذا الكتب أخطاء شنيعة وطامات فظيعة تمس العقيدة فكان رد شيخنا وبه صدر قرار من المجمع الفقهي بمكة المكرمة حول هذا الكتاب

---

١ نفى مجمع البحوث الإسلامية موافقته على تداول كتاب "الهيروغليفية تفسير للقرآن الكريم" للمؤلف سعد عبد المطلب العدل، وأفادت الإدارة العامة للتأليف والبحوث والترجمة بالمجمع -وهي الجهة المختصة بإعطاء تصريحات على تداول الكتب المتعلقة بالجوانب الشرعية- أن هذا الكتاب لم يرد إليها وأنها لم تسمع عنه من قبل. من موقع إسلام أون لاين

http: //www. islamonline.
net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=١١٩٠٨٨٦٤١٩٤٠٢
FSRALayout٢٪&pagename=Zone-Arabic-Shariah

المرفوض[1]. وتمت مناقشة الموضوع، واستنكر مجلس المجمع هذه الجرأة على كتاب الله عز وجل بالقول فيه بغير علم ولا هدى ولا إتباع، وعجب المجلس أشد العجب من صدور مثل هذا القول ممن ينتسب للإسلام، ويقرأ القرآن بلسانه العربي المبين الذي نزل به من عند الله، مؤكداً أن ما اشتمل عليه هذا الكتاب إنما هو محض تخرصات وفرضيات لا تستند إلى أساس علمي صحيح. اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٩ ـ ٢٣ شوال عام ١٤٢٤ هـ الذي يوافقه ١٣ ـ ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠٠٣، على الكتاب المذكور«الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم"لمؤلفه سعد عبد المطلب العدل، الذي زعم فيه مؤلفه أن فواتح السور المبتدئة بحروف مقطعة وبعض الألفاظ في القرآن ليست عربية، وإنما هي كلمات أعجمية مستمدة من اللغة المصرية القديمة، (الهيروغليفية)، وأنه سعى في كتابه المذكور إلى بيان معانيها بالحدس من خلال تلك اللغة، كما اطلع على التقرير المقدم عنه من عضو مجلس المجمع الشيخ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد... وإن مما يترتب على قول الكاتب أن يكون بعض القرآن نزل بلغة لا يفهمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولا صحابته، بل لم يهتد إلى معناها إلا بعد أربعة عشر قرنا

---

١ الدورة السابعة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي التي عقدت في مكة المكرمة خلال الفترة من ١٩ ـ ٢٣ شوال ١٤٢٤هـ، الموافق ١٣ ـ ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠٠٣.

من الزمان (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) النور: ١٦. ولقد أجمع المفسرون منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم على عربية هذه الألفاظ ـ ولم يرد ولو على قول ضعيف ـ أن هذه الألفاظ ليست عربية، وإنما اختلف القول عنهم: هل هي من المكنون الذي استأثر الله بعلمه، وذلك من حيث العلم الكلي بحقيقة معناها أم أنها من المعلوم الذي يمكن فهمه، وذكروا وجوهاً كثيرة لبيان المراد منها، وليس فيها أن هذه كلمات ليست عربية، كما يزعم هذا الكاتب المجازف. وإذا كان من المتشابه فإنه ـ كما قال الإمام الشافعي وغيره ـ: " لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو خبر من الصحابة أو إجماع العلماء، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم) (الإسراء: ٣٦) وقد خطأه المتخصصون في اللغة المصرية القديمة وقالوا: إنه تجرأ ووظف ألفاظاً خاطئة لخدمة فكرته. ومن خرافاته زعمه أن عدد القرآن الكريم ستة ملايين وثلاث مائة ألف كلمة. وعدها الحقيقي سبع وسعون ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة فقد ضاعف العدد ثمانين ضعفا ليهون على الناس رأن هناك مائة كلمة فقط من العدد الذي يفوق الستة ملايين كلمة!

ثم إن الكاتب لم يتورع ـ في سياق المعاني المبتدعة التي أتى بها ـ أن يمس جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم، حين وصفه بالشاك المرتاب الذي يميل بهواه أو يميل به الهوى، وغير ذلك من الألفاظ الفاسدة التي وردت في مواضع متكررة من الكتاب، وفيها استهانة بشخص النبي الكريم صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على نحو يخشى على قائله إن لم يبادر إلى التوبة مما قال[1].

وحين قفز المؤلف إلى مجاهل التاريخ القديم ليجعل كلمات القرآن لفظاً ومعنى من اللغة البائدة القديمة، قد أتى بأمر بالغ النُّكْر، لا نظير له في مناهج العلم والبحث قديماً وحديثاً؛ لأنه يُفسر لغة قائمة شاخصة، بلغة بائدة دارسة، تقوم في دراستها —المعاصرة–على الفروض والظنون والتقريب والأخذ من الحفريات والبرديات المتناثرة، وتختلف فيها الآراء والأحكام اختلافاً هائلاً،

ومنهج المؤلف باطل من أساسه فقد زعم عجمة الحروف المقطعة وهي عربية بلا شك ومحاولة إعادة كتابتها بلغتها الأصلية لا يوافقه على ذلك المتخصصون ومحاولته لتفسيرها من قاموس اللغة المصرية القديمة وهو ظني ومحل خلاف، ثم إنه مترجم من اللغة القديمة إلى اللغة الإنجليزية أو الألمانية.

من أقواله الباطلة: قوله: والمعنى إذًا للآيات الأولى من سورة القلم كالأتي: تباً له وتباً للقلم الذي يكتبون به واللسان الذي يتلفظون به وسحقاً مما يسطرون وما يكتبون من جهالة (صـ٥١، ٥٢) إذ يحكم على القرآن بالشدة

١–إذ يحكم على القرآن بأنه بدأ بالشدة والشتم! وهذا كذب مبين.

---

١ الرد على كتاب الهيروغليفية تفسّر القرآن الكريم

٢-يحكم بأن القرآن الكريم سب(القلم)، وقد مدحه في السورة التي قبلها في النزول (الذي علم بالقلم)، وهذا تناقض من أوهام المؤلف، والقرآن يصدق بعضه بعضا.

٣-يدعي بأن (القلم) الذي توجه إليه السب هو (قلم المشركين) وهم أمة أمية، لا تكتب ولا تحسب كما جاء في الحديث الصحيح، فكيف يسب القرآن تسطيرهم وهو ليس صفة شائعة فيهم؟!

٤-أدخل في التفسير سب اللسان)وليس له ذكر في الكلام من قريب أو بيعيد!

٥-ما ذكره من تفسير إنما هو تلفيق منه يخالف ما أورده من معاني (نون)في اللغة المصرية القديمة.

٦-لو أراد القرآن الكريم أن يذمهم ويردعهم فلماذا لم يأت بلفظ يفهمونه؟!، وما فائدة هذا اللفظ الأعجمي هنا؟ ولماذا لم ينددوا بالنبي الذي يخاطبهم بما لا يفهمون، وهم في موقف الخصومة والتحدي وتصيد الأخطاء؟!

٧-لقد نزل القرآن بهذا اللفظ العربي الفصيح بعد ذلك ردعاً لأبي لهب فقال تعالى(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)سورة المسد. فلماذا لا يأتي به في صدر سورة القلم ردعاً للمعاندين من قريش الذين زعمهم المؤلف كذلك من أول البعثة.

مما ذكره ذلك الكاتب قوله: (يا أيها النبي المكلف بالرسالة المهموم بهمومها والمشغول عليها والحزين المكتئب المغموم بسبب تكذيب الكفار لك، ويا أيها المرتاب الذي راح يشك فيما هو بصدده بسبب ادعاءات المشركين عليه ونكرانهم له وتشكيكهم في مضمون الرسالة ومصدرها ومآلها)... "ومن كثرة تكذيب أهل مكة للرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ -، فربما يكون قد أصابه شئ من الشك أو الارتياب في إتمام وتبليغ الرسالة أو الانتصار عليهم أو الميل إليهم.

بعض ردود الدكتور عبدالحليم نور الدين

يقول إن (نون)جاءت من كلمة (نون) المصرية ومعناها انحطوا وهبطوا في حين أنها تنطق في الأصل (ني) وليس (نون) ومعناها: ضعيف، أو عار أو متكاسل أو مريض..

ثم يفسر(عسق) بأنها تشير إلى صفات جبريل عليه السلام وتعني الصادق الجميل القوي، ولا أدري من أين أتى بكل هذه المعاني

ويفسر (المر)في بداية سورة الرعد يقول إن النصف الثاني منها(مر)بأنه من اللفظ (مر) بمعنى يحب، وفي موضع لآخر يفسر حرف (م) وحده بأنه يعني بكاء، وهذا ما لا يمكن أن يتفق معه فيه أحد.

تتمة: حول الحروف المقطعة

قد ذكر المفسرون —طيب الله ثراهم- ما يربوا على العشرين قولاً بعضها ظاهر البطلان كقول من ذهب إلى أنها تدل على آجال أو أعمار معتمدين

على روايات واهية لا تثبت ولا يثبت عليها قول. أو أنها أسماء لله جل جلاله[1] أو أسماء للقرآن أو أسماء لسور القرآن أو للنبي... وكل ذلك لادليل عليه. قال ابن العربي: فلو جاء خبر صحيح بأنه اسم من أسماء الله أو من أسماء السور أو القرآن لاخترناه واعتقدناه، وكما أنه لو جاءنا من طريق اللغة أن (يس) معناه: يا سيد، أو (طه) معناه: يا رجل أو" حم "معناه يا سلام... لسلمناه له[2]

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وهذا لا حاجة إليه بل يشككنا في القرآن نفسه لذا قال ابنُ عاشور: ونُسب هذا إلى الخلفاء

---

١ فمثلا أخرج ابن مردويه عن الكلبي أنه سئل عن ذلك فحدث عن أبي صالح عن أم هانيء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال كاف هاد عالم صادق، واختلفت الروايات عن ابن عباس، ففي رواية أنه قال: كاف من كريم وها من هاد ويا من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق، وفي رواية أنه قال: كبير هاد أمين عزيز صادق، وفي أخرى أنه قال: هو قسم أقسم الله تعالى به وهو من أسماء الله تعالى، وفي أخرى أنه كان يقول: كهيعص وحم ويس وأشباه هذا هو اسم الله تعالى الأعظم، روح المعانى ٥٧/١٦ قال الرازي: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَتْ قَوِيَّةً لِمَا بَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُودِعَ كِتَابَهُ مَا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ اللُّغَةُ لَا بِالْحَقِيقَةِ وَلَا بِالْمَجَازِ لِأَنَّا إِنْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ فَتَحَ عَلَيْنَا قَوْلَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا، وَاللُّغَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ فَإِنَّهُ لَيْسَتْ دَلَالَةُ الْكَافِ أَوْلَى مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْكَرِيمِ أَوِ الْكَبِيرِ أَوْ عَلَى اسْمٍ آخَرَ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوِ الْمَلَائِكَةِ أَوِ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ فَيَكُونُ حَمْلُهُ عَلَى بَعْضِهَا دُونَ الْبَعْضِ تَحَكُّمًا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ اللُّغَةُ أصلا. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٥٠٦)

٢ قانون التأويل للقاضي أبي بكر بن العربي صـ٣٥٠، ٣٥١ تحقيق محمد السليماني دار القبلة جدة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦

الأربعة في روايات ضعيفة[1] قال ابن عطية: وقال الجمهور بل ينبغي أن يتكلم فيها وتطلب معانيها فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالا على كلمة، وليس في كتاب الله ما لا يفهم[2]

لعل الذين كتبوا المصحف من الصحابة رضى الله عنهم عندما كتبوا المصحف إنما كتبوا المسميات كي لا يضل الناس فيبحثوا لها عن معنى آخر غيرالمسميات المكتوبة. قال شيخنا الأستاذ الدكتور عبدالغفور محمود مصطفى رحمه الله: فواتح السور والساعة ونزول الغيث من المحكم لا المتشابه ومنشأ الجهل في ذلك لا يرجع إلى المعنى المراد والمتبادر منه عند الإطلاق حتى يصلح عده متشابها بل يرجع إلى كيفيات أخرى ليس لذكرها في القرآن الكريم عين ولا أثر حتى يصلح أن يطلق عليها وصف التشابه الذي هو وصف لبعض آيات القرآن لا لما هو خارج عنها[3]. ونقل الرازي عن المتكلمين قولهم: لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوماً للخلق ثم ذكر أدلتهم. بل قال ابن كثير: لحظ بعضهم في هذا المقام كلامًا، فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: إنَّه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد

١ التحرير والتنوير ٢٠٧/١

٢ تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣)

٣ التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد صـ٤٠٥ الناشر دار السلام

أخطأ خطأ كبيرًا، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) آل عمران: ٧. ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه إتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين[١].

يقول شيخنا العلامة الدكتور إبراهيم خليفة: لا يجوز أن يكون في القرآن أبداً كلمة لا يعلم أحد معناها فمدة بقاء الدنيا وقت قيام الساعة وخواص الأعداد هذه ليست من المتشابه لأنها ليست من القرآن أصلاً فهي مما استأثر الله بعلمه ولكنه ليست من القرآن حيث لم يتحدث عنها أصلاً، فهل ذكر الله مدة بقاء الدنيا أو وقت قيام الساعة فلا يصح أن تعد من الإحكام أو من المتشابه.

الراجح أن هذه الحروف أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة ولأنها يتصرف فيها بالإمالة والتفخيم والتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة، فكانت لا محالة أسماء [٢]. وهي للتحدي والإعجاز كما بُين في مظانه.

---

١ مفاتيح الغيب ٤/٢، تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ١٦٠/١ تحقيق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢ مفاتيح الغيب ٣/٢

المطلب الرابع مراعاة ظاهر القرآن

" الْعُدُول عَنْ الظَّاهِرِ لِغَيْرِ دَلِيلٍ عَبَثٌ "

من المُسلم به لدى كافة المحققين من أئمتنا الأجلاء أنه: لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح.

قال ابن جرير: وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب[1] – دون الخفي الباطن منه، حتى تأتي دلالة – من الوجه الذي يجب التسليم له – بمعنىً خلافَ دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن – أولى[2].

وقال نجم الدين النسفي: النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد[3].

قال ابن السبكي: التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد أو لا لشيء فلعب لا تأويل[4].

---

١ هنا جمل اعتراضية وأصل كلامه رحمه الله: وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب أولى. مستفاد من تعليق الشيخ شاكر

٢ الطبري ٤٥٧/٢

٣ العقائد النسفية للشيخ العلامة نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي وعليه شرح العقائد النسفيةللعلامة مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني تحقيق طه عبد الرءوف سعد صـ١٤٩ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢١–٢٠٠٠.

٤ شرح جمع الجوامع ٥٢/٢

قال الغزالي: ألفاظ القرآن تنقسم إلى ما يقطع بفحواه وهو النص وإلى ما يظهر معناه مع احتمال وهو الظاهر وإلى ما يتردد بين جهتين من غير ترجح وهو المجمل... أما النص فقيل في حده إنه اللفظ المفيد الذي لا يتطرق إليه احتمال وقيل هو اللفظ الذي يستوي ظاهره وباطنه ولا يرد عليه الفحوى المفهوم على القطع وإن كان لا يسمى نصا فهو مفهوم النص وفائدته، فلا يسمى نصا... أما الشافعي رضي الله عنه فإنه سمى الظاهر نصا ثم قال النص ينقسم إلى ما يقبل التأويل وإلى مالا يقبله والمختار عندنا أن يكون النص ما لا يتطرق إليه التأويل... والظاهر: ما يغلب على الظن فهم معنى من غير قطع.

ونقصد بالظاهر هنا ما يُفهم من سياق القرآن من غير تكلف في الفهم سواء كان ذلك نصاً أو ما يسمى بالظاهر الذي هو عند الأصوليين قَسيم النص.

فعندهم أن اللفظ إما أن يكون نصاً أو ظاهراً أو مؤولاً أو مشتركاً أو مجملاً. والنص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع من الغير والمؤول غير راجح بل هو مرجوح لكن لا بحسب الدليل المنفرد إذ أنه بحسب الدليل المنفرد أي الدليل القاضي يحمله على خلاف الظاهر الذي عدل عنه إلى التأويل ليتأتى تقديم التأويل على الظهور [1].

---

١ مقالتان في التأويل د محمد سالم ص ١٧ دار البصائر نقلا عن تقريرات الشربيني على شرح المحلي لجمع الجوامع ٢/٥٢

لذا يجب الأخذ بظواهر النصوص إذا لم يكن داعياً إلى التأويل وإلا ترك الظاهر.

من الدخيل التأويلات البعيدة للصوفية:

ومن أشهر الذين تركوا ظاهر القرآن بغير دليل طائفة من الصوفية قاموا بالتأويل من غير دليل

نذكر نماذج من تأويلاتهم الباطلة لنحذرها فمن ذلك: -

١- ما قالوه في فواتح السور الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وأن في القرآن أحرفا نورانية وأخرى ظلمانية. وفي تفسير الحلاج الألف ألف المألوف، واللام لام الآلاء والميم ميم الملك والصاد صاد الصدق قال في القرآن علم كل شئ وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الأحرف في لام ألف وعلم لام ألف في ألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة فيى المعرفة الأصلية في الأزل وعلم الأزل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب الهو وغيب الهو (ليس كمثله شئ)[1]. وفيه كثير من الإشارات التي لا تعقل أو تقبل.

٢- ومن الدحيل ما قالوه في قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ: ٢٥٥: البقرة) نري بعضاً من هؤلاء يقول بأن المعنى: (من ذل)من (الذل) ذي إشارة إلى النفس، يشف: من الشفاء، ع: أمرين الوهي

١ تفسير الحلاج صـ٣٠ ونحوه صـ٣٤

٣-أو يقول في قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(العنكبوت ٦٩) من أن المعنى في (لَمَعَ) أي أضاء فيجعل (ل لَمَعَ) فعلاً ماضياً، معناه: أرضاء[1].

٤-و كما حكى عن بعضهم حين سئل عن قوله تعالى(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) الأنبياء: ٨٣ فقال معناه ما ساءني الضر"!.

٥-وسئل بعضهم عن قوله (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (٦)سورة الضحى. فقال: "معنى اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها"!

٦-* قال الألوسي في تفسير سورة الإنسان (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئاً مَذْكُورًا (١)ورأيت لبعض المتصوفة أن هل للاستفهام الإنكاري فهو في معنى النفي أي ما أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا وظاهره القول بقدم الإنسان في الزمان على معنى أنه لم يكن زمان إلا وفيه إنسان وهو القدم النوعي كما قال به من قال من الفلاسفة وهو كفر بالإجماع ...والكلام في هذا المقام طويل ولا يسعنا أن نطيل بيد أنا نقول كون هل هنا للإنكار منكر وإن دعوى صحة ذلك لإحدى الكبر والذي فهمه أجلة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الآية الإخبار الإيجابي، أخرج عبد بن حميد وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلا يقرأ هل أتى على الإنسان شيء من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) فقال ليتها تمت. وعن ابن مسعود رضي الله

---

١) التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ٢/ ٤٠)

تعالى عنه أنه سمع رجلاً يتلو ذلك فقال يا ليتها تمت فعوقب في قوله هذا فأخذ عموداً من الأرض فقال يا ليتني كنت مثل هذا[1].

٧- وأخطر قضية أثارها ابن عربي ما يفهم منه تقصير سيدنا نوح في دعوة قومه! قال الألوسي: ومعظم آيات هذه السورة الكريمة وغيرها نص في أن القوم كفرة هالكون يوم القيامة فالحكم بنجاتهم كما يقتضيه كلام الشيخ الأكبر قدس سره في فصوصه مما يبرأ إلى الله تعالى منه كزعم أن نوحاً عليه السلام لم يدعهم على وجه يقتضي إيمانهم مع قوله سبحانه الله أعلم حيث جعل رسالته وقصارى ما أقول رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات[2]

٨- ومن ذلك تصحيح الأحاديث الباطلة فقد ذكر الألوسي حديثاً موضوعاً نقلاً عن ابن عربي ذكره في الباب المائة والثامنة والتسعين من الفتوحات ثم قال الألوسي: ومن يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً لكن يقول: إنه ثابت كشفاً وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الباب المذكور والتصحيح الكشفي شنشنة –أي طبيعة وسجية–لهم[3].

من تأويلات الفلاسفة * قوله تعالى (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)) قال الألوسي وقال ابن سينا الوسواس القوة التى توقع الوسوسة وهى القوة

---

١ روح المعاني ١٥١/٢٩، ١٥٢

٢ روح المعاني ٨١/٢٩

٣ روح المعاني ٢٢/٢٧

المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ثم أن حركتها تكون بالعكس فان النفس وجهتها إلى المبادى المفارقة فالقوة المتخيلة إذا أخذتها إلا الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس خناسا ونحوه ما قيل إنه القوة الوهمية فهى تساعد العقل فى المقدمات فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ولا يخفى أن تفسير كلام الله تعالى بأمثال ذلك من شر الوسواس الخناس[1].

المطلب الخامس حول الخاص والعام

* – لا تخصيص بلا مخصص

من المعلوم أن القول بالعموم أعم فائدة، ومن صور الدخيل أن يكون لفظاً عاماً فيُخصص ببعض ما يدخل تحته، بلا دليل ولا داع للتخصيص.

*في قوله تعالى "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" البقرة ١٠٩. عن الزهري وقتادة: ( "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"، قال: كعب بن الأشرف. قال ابن عطية: وهذا تحامل. وقد رده ابن جرير باسهاب فمما قاله وليس لقول القائل عنى بقوله: "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" كعب بن الأشرف، معنى مفهوم. لأن كعب بن الأشرف واحد، وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيرا منهم يودون لو يردون المؤمنين كفارا بعد إيمانهم، والواحد لا يقال له "كثير"، بمعنى الكثرة في العدد، [2]

١ روح المعاني ٢٨٧/٣٠

٢ الطبري١/ ١٤٩٩، ٥٠٠ المحرر الوجيز ١٩٦/١

*في قوله تعالى (قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدَى ائْتنا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ (٧١)سورة الأنعام

قال ابن عباس أي مثل عابد الصنم مثل من دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد ألقته في مضلة ومهلكة فهو حائر في تلك المهامة. وقال في رواية أبي صالح نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمون وهو معنى قوله له أصحاب يدعونه إلى الهدى فيأبى قال أبو عمر أمه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية فهو شقيق عائشة وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر بدرا واحدا مع قومه وهو كافر ودعا إلي البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال له متعني بنفسك ثم أسلم وحسن إسلامه وصحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هدنة الحديبية. وهذا إسناد ساقط [1].

*في قوله تعالى "فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) التوبة.

التوبة. " فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ "يقول: فقاتلوا رؤساء الكفر بالله

---

١ القرطبي ٧ /١٨، ١٩

عن حذيفة: " فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ "، قال: ما قوتل أهلُ هذه الآية بعدُ

والصواب هنا القول بالعموم ولعل قول سيدنا حذيفة من باب التمثي ليحذر الناس من الوقوع في مثل تلك الفتن التي كان يحذر منها

وقد خصصه بعضهم ولو فرضنا جواز ذلك من باب التمثيل فلن نقبل ما قاله سيدنا قتادة من ذكره لبعض من آمن بل وقد سبق إيمانهم نزول الآية فكيف نجعلهم من أهل هذه الآية بل قد أسلموا وقاتلوا أئمة الكفر مثل أبي سفيان وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما. ولعل ابن كثير رضى الله عنه تعفف عن ذكرهما عند ذكر قول قتادة فقد قال رحمه الله وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، وعدد رجالاً.

قلت: أما قول قتادة فقد رواه الطبري بسنده عن قتادة: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ)، إلى: (ينتهون)، فكان من أئمة الكفر: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو، وهم الذين همُّوا بإخراجه. عن مجاهد: (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ)، قال: أبو سفيان منهم[1] وقيل: المراد بأئمتهم رؤساؤهم وصناديدهم مثل أبي سفيان. والحرث بن هشام، قلت وقد رد التخصيص العلامة ابن جزى بملمح لطيف حيث بين أن منهم من قتل ببدر كأبي جهل فقال: أي رؤساء

---

١ الطبري ١٤/١٥٤-١٥٦

أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وحكى ذلك الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة والأحسن أنها على العموم[1]

المطلب السادس حول النسخ

لا يقال بالنسخ إلا بعد تعذر الجمع

فيجب ترك التسرع في القول بالنسخ

*- النسخ: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه. يخرج رفع الحكم العقلي- رفع البراءة الأصلية قبل ورود الشرع بالأحكام. ولابد أن يكون متراخياً...

*- الإحكام في القرآن لم يأت مقابلاً للنسخ أبداً.

*- موضوع النسخ مختلف فيه وما من آية قيل بنسخها إلا وهناك طريقة في الجمع بينها وبين الأخرى فمن ذلك السهل المقبول ومنه المقبول بعد تفكر يسير ومنه جمع يقبله البعض ويستبعده البعض الآخر، ولكل وجهة، هذا وقد قام ولى الله الدهلوي بتحقيق دقيق لموضوع الآيات التي قيل بنسخها فذكر ما عده السيوطي من الآيات المنسوخة وعددها تسعة عشر، فتعقبه في بعضها فبلغت خمس آيات ومن الممكن تعقبه أيضاً فنكون قد جمعنا بين

---

١ التسهيل لابن جزى ٧١/٢

كل الآيات التي قيل بنسخها وإن سلمنا فلن تبلغ ثلاث آيات بعد أن ظن البعض أن بلغت خمس مائة آية! [1].

مثال عجيب للمتوسعين في القول بالنسخ - آية السيف - يقول الإمام المحقق أبو القاسم هبة الله بن سلامة: عن قوله تعالى" فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ "هى الآية الثالثة وهى الناسخة نسخت من القرآن مائة آية وأربعاً وعشرين ثم صار آخرها ناسخاً لأولها وهى قوله تعالى" فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ". وقيل إنها نسخت مائة وأربعين آية بل وصلها البعض إلى مائتي آية، وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء. وهذا توسع غريب وعجيب قال به كثير ممن كتب في هذا الفن ففي بعض كتب الناسخ والمنسوخ تجد عشرات الآيات مكتوب عندها" م "أي منسوخة وبجوارها" ن "أي نسختها آية السيف وهذا لايصح لأن تلك الآيات إنما هي في الأخلاق والنسخ يكون في الأحكام فكيف تنسخ آية واحدة أكثر من مائة آية تدعو إلى مكارم الأخلاق التي لا تتبدل ولا تتغير! ثم إنهم قد اختلفوا في أية آية تلك التي تسمى آية السيف وهذا دليل على بطلان القول بالنسخ. فقيل هي قوله تعالى" فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ

---

١ الفوز الكبير في أصول التفسير صـ ٨٣-٩٥ للإمام / أحمد بن عبد الرحيم "ولي الله الدهلوي " عَرَّبَه من الفارسية سلمان الحسيني النَّدوي الناشر: دار الصحوة — القاهرة الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م. وكتاب الدكتور مصطفى زيد رحمه الله مفيد غاية الإفادة

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "التوبة: ٥. وقيل بل قوله تعالى" وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "التوبة ٣٦. وقيل هما آية السيف وقيل غير ذلك. ولا تعارض بين الآية والآيات الأخر لإمكان الجمع فالآيات التي تدعو للصبر والعفو الإعراض أي مع الإنكار عليهم لا التقرير لما هم عليه وإن كان قتال فقاتلوهم وإن رجعوا فخلوا سبيلهم.... [١]

نموذجان للتحقيق في موضوع النسخ:

مما يقوله من يتوسط في القول بالنسخ أن قوله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)سورة الأحزاب. الراجح في الآية القول بعدم نسخها ومعنى الآية هو حظر نكاح ما بعد التسع اللاتي عنده صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأن التسع نصابه كالأربع لغيره وأن ذلك جزاء لاختيارهن إياه لما خيرهن كما تقدم في الآية. ثم قالوا —من يقول بالنسخ–

١ مستفاد من القاسمي ثم ليعلم أعداؤنا أن سخريتهم بمثل قولهم سماحة الإسلام المنسوخة هذا كذب وعدم فهم لما قاله المحققون وغمط للحق وأهله فما قاله من قال بسخها لم يقصد إبطال القول بسماحة الإسلام ثم إن واقع الأمة يبين ما تحلت به من سماحة وعفو ومكارم أخلاق حتى في الحروب وميادين القتال...

إنه تعالى رفع الحرج عنه في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج لكنه لم يفعله إتماماً لمنته عليهن.

قال العلامة القاسمي: ومنهم من قال إنها محكمة. وكل ذلك لا برهان معه وتفكيك للمعنى وغفلة عن سر تكريمه صلوات الله عليه بمقصود الخطاب.

وقد وهم في هذا المعنى زياد - رجل من الأنصار — فرده أبيّ رضي الله عنه إلى صواب المعنى وذلك فيما رواه عبد الله بن أحمد وابن جرير أن زياداً قال لأبيّ بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ توفين أما كان له أن يتزوج؟ فقال وما يمنعه من ذلك؟! قال قوله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فقال له: إنما أحل الله له ضرباً من النساء فقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ.. إلى قوله.. وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) ٥٠ سورة الأحزاب. ثم قيل له (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ).

وروى الترمذي عن ابن عباس قال: نُهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن أصناف إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فحرم كل ذات دين غير الإسلام، والمطلع على ما كتبوه هنا يأخذه العجب من البعد عن مقصدها فالحمد لله على إلهام الحق

وتعليمه. قلت هذا هو التحقيق في الآية خلافا لمن قال بنسخها من المفسرين [1].

وقد نجد أن القول بعدم النسخ منقولاً عن السلف ولكن إذا أخذنا طريقة الجمع نجد تلك الأقوال غير راجحة ونكتفي بمثال يدل على وجوب التحري في القول بالنسخ ووجوبه–التحرى – كذلك عند الجمع بين الآيات فليس الغرض هو رفض القول بالنسخ بل الغرض ترك التكلف في فهم القرآن سواء القول بالنسخ أو عدمه أما المثال فهو (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)

قيل بنسخها فقد قيل: كان هذا حكم الله في كلّ زان وزانية، حتى نسخه بقوله: (وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ)، فأحل نكاح كلّ مسلمة وإنكاح كل مسلم. عن سعيد بن المسيب(الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) قال: نسختها التي بعدها: (وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ) وقال: إنهن من أيامى المسلمين.

ثم ذكر ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل

---

١ محاسن التأويل ١٣ / ٤٨٨٩، ٤٨٩٠

الفاجر المسافح، حتى يتوب توبة صحيحة؛ لقوله تعالى: " وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ "

وقال آخرون: معنى ذلك: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك. قالوا: ومعنى النكاح في هذا الموضع: الجماع. عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جُبير وعكرمة عن سعيد بن جبير، قال: إذا زنى بها فهو زان. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء، وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحلّ الزنا أو بمشركة تستحله. وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير أيضا فقد قال: هذا خَبَر من الله تعالى بأن الزاني لا يَطأ إلا زانية أو مشركة. أي: لا يطاوعه على مراده من الزنى إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك، وكذلك: " الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ "أي: عاص بزناه، " أَوْ مُشْرِكٌ "لا يعتقد تحريمه. وذكر رواية ابن عباس وقالوا هذا إسناد صحيح عنه، وقد رُوي عنه من غير وجه أيضا. وقد رُوي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعُرْوَة بن الزبير، والضحاك، ومكحول، ومُقَاتِل بن حَيَّان، وغير واحد، نحوُ ذلك.

الرد على ذلك القول:

قام شيخنا المحقق بتفنيد هذا القول وبيان الوجه الأصيل في تفسير الآية مبيناً السبب الذي دعاهم إلى هذا القول أي قولهم بأن النكاح هنا هو الوطء أو

الجماع فإنهم قالوا ذلك قصداً منهم إلى الفرار من الإشكاليين اللذين اقتضاها ظاهر الآية الكريمة لو فسر النكاح بالعقد واللذين هما: -

(أ)حل نكاح الزاني المسلم للمشركة والزانية المسلمة للمشرك وهو خلاف ما انعقد عليه الإجماع.

(ب)وحرمة نكاح الزاني المسلم للعفيفة المسلمة ونكاح الزانية المسلمة للعفيف المسلم وهو خلاف ما عليه الجمهور.

نقول، قصداً منهم رحمهم الله إلى الفرار من الإشكال الظاهر في هذين الموضعين قالوا بما قالوه من حمل النكاح في الآية على الوطء أي الواقع حال الزنا كما سمعت ولكنك خبير أن هذا التفسير من قائليه رضي الله عنهم وإن خلص من الإشكالين المذكورين فإنه مدخول من عدة أوجه كلها من المعقول الظني منها

-أن النفي المذكور في الآية الكريمة على هذا الوجه من تفسيرهم إن حمل على الأخبار لفظا ومعنا لزمه في شق الآية

الأول أعني قوله عز قائلا (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) أنه من الإخبار بما هو من أوضح الواضحات التي يتنزه عن مثلها الكلام المفيد فضلا عن القرآن العظيم أعني كون المزني بها زانية وأنه قد يزني الزاني بغير زانية كأن تظن الحل لشبهه وهو يعلم الحرمة وكأن تكون مخدرة أو مغمى عليها أو مكرهه وهو مختار ولزمه في شق الآية.

الثاني أعني قوله سبحانه: (وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)

الإخبار بما هو شبه تحصيل الحاصل.

أعني كون الزاني لا يزني إلا هو زان أو قل إنه لا يزني إلا زان وأما إن حمل للنفي في الآية الكريمة على الإخبار لفظا الإنشاء معنى بأن يكون بمعنى النهي على ما قرئ به شذوذاً من جزم فعل(ينكحْ) في الموضعين فإن الخطب في ذلك يكون أنكى وأشد إذ يكون المعنى على هذا التفسير نهيه تعالى الزاني عن أن يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية عن أن يزني بها إلا زان أو مشرك أو قل بعبارة أخرى ترخيصه تعالى الزاني أن يزنى بكل من الزانية والمشركة وللزانية أن يزني بها كل من الزاني والمشرك. وحسبك هذا فساداً وسقوطاً في أسفل دركات الدخل والضلالة التي

لم تخطر ببال من صح عنهم مثل هذا التفسير طبعا.

ومن أوجه دخل هذا التفسير كذلك حمل النكاح على خلاف ما هو معروف مضطرد بالاستقراء التام من إطلاق القرآن له على العقد خاصة وأنه لم يطلقه بمعنى الوطء في أي موضع من مواضعه على الصحيح المبرهن عليه. والذي له من الحكمة البالغة ما تطلبه هنالك من كتب التفسير وأصول الفقه.

هذا وقد ذهب شيخنا حفظه الله إلى الإعراض عن هذه الأقوال وقال وإنما الأصيل في تفسير الآية الكريمة تخليصا من إشكال ظاهرها من جهة وسلامة من المآخذ عليه من جهة أخرى. هو ما ذهب إليه العلامة الألوسي الذي قال: " الزاني لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً "تقبيح لأمر الزاني أشد تقبيح

ببيان أنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به أن ينكح العفيفة المؤمنة فبينهما كما بين سهيل والثريا فترى هذه شامية إذا ما استقلت وترى ذاك إذا ما استقل يمانياً وإنما يليق به أن ينكح زانية هي في ذلك طبقة ليوافق كما قيل شن طبقه أو مشركة هي أسوأ منه حالاً وأقبح أفعالاً" فَلا * يَنكِحُ "خبر مراد منه لا يليق به أن ينكح كما تقول: السلطان لا يكذب أي لا يليق به أن يكذب نزل فيه عدم لياقة الفعل منزلة عدمه وهو كثير في الكلام، ثم المراد اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنا فيكون فيه من تقبيح الزنا ما فيه.

ولا يشكل صحة نكاح الزاني المسلم الزانية المسلمة وكذا العفيفة المسلمة وعدم صحة نكاحه المشركة المذكورة في الآية إذا فسرت بالوثنية بالإجماع؛ لأن ذلك ليس من اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنا بل من حيثية أخرى يعلمها الشارع كما لا يخفى، وعلى هذا الطرز قوله تعالى: " والزانية لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ "أي الزانية بعد أن رضيت بالزنا فولغ فيها كلب شهوة الزاني لا يليق أن ينكحها من حيث أنها كذلك إلا من هو مثلها وهو الزاني أو من هو أسوأ حالاً منها وهو المشرك، وأما المسلم العفيف فأسد غيرته يأبى وروود جفرتها

وتجتنب الأسود ورود ماء... إذا كان الكلاب يلغن فيه

ولا يشكل على هذا صحة نكاحه إياها وعدم صحة نكاح المشرك سواء فسر بالوثني أو بالكتابي ليحتاج إلى الجواب وهو ظاهر؛ والإشارة في قوله سبحانه: " وَحُرِّمَ ذلك عَلَى المؤمنين "يحتمل أن تكون للزنا المفهوم مما تقدم

والتحريم عليه على ظاهره وكذا المؤمنين، ولعل هذه الجملة وما قبلها متضمنة لتعليل ما تقدم من الأمر والنهي ولذا لم يعطف قوله سبحانه: " الزاني لاَ يَنكِحُ "الخ عليه كما عطف قوله عز وجل الآتي" والذين يَرْمُونَ المحصنات "النور: ٤ الخ، وأمر إشعار ما تقدم بالتحريم سهل، وتخصيص المؤمنين بالتحريم عليهم على رأي من يقول: إن الكفار غير مكلفين بالفروع ظاهر، وأما على رأي من يقول بتكليفهم بها كالأصول وإن لم تصح منهم إلا بعد الإيمان فتخصيصهم بالذكر لشرفهم، ويحتمل أن تكون لنكاح الزانية وعليه فالمراد من التحريم المنع وبالمؤمنين المؤمنون الكاملون، ومعنى منعهم عن نكاح الزواني جعل نفوسهم أبية عن الميل إليه فلا يليق ذلك بهم، ولا يأبى حمل الآية على ما قرر فيها ما روي في سبب نزولها مما أخرج أبو داود. والترمذي وحسنه والحاكم وصححه. والبيهقي. وابن المنذر. وغيرهم عن عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ وَكَانَ رَجُلًا يَحْمِلُ الْأَسْرَى مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِمْ الْمَدِينَةَ قَالَ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا عَنَاقٌ وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ وَإِنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلًا مِنْ أُسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ قَالَ فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ قَالَ فَجَاءَتْ عَنَاقٌ فَأَبْصَرَتْ سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الْحَائِطِ فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيَّ عَرَفَتْهُ فَقَالَتْ مَرْثَدٌ فَقُلْتُ مَرْثَدٌ فَقَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا هَلُمَّ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ قَالَ قُلْتُ يَا عَنَاقُ حَرَّمَ اللَّهُ الزِّنَا قَالَتْ يَا أَهْلَ الْخِيَامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أَسْرَاكُمْ قَالَ فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةٌ وَسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ فَانْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ

فَدَخَلْتُ فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي فَبَالُوا فَظَلَّ بَوْلُهُمْ عَلَى رَأْسِي وَأَعْمَاهُمْ اللَّهُ عَنِّي قَالَ ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِذْخِرِ فَفَكَكْتُ عَنْهُ كَبْلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعْيِينِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْكِحُ عَنَاقًا فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نزلَتْ" الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ "فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَا مَرْثَدُ" الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ "فَلَا تنكِحْهَا قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

قلت هذا عن نسخ الحكم وبقاء التلاوة فما بالك بمن يقول بنسخ التلاوة؟ فنقول القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ولا ينسخ إلا بالتواتر فما قيل عنه إنه كان قرآنا ثم نسخ نقول لهم أثبتوه بالتواتر حتى نثبت قرآنيته قبل أن تزعموا نسخ تلاوته. [١]

١ تفسير سورة النور لشيخنا العلامة الدكتور إبراهيم خليفة وللشيخ الغماري رسالة في امتناع نسخ التلاوة. طبعتها مكتبة القاهرة

## تتمة قواعد غير صحيحة

## هناك بعض المسلمات التي يجب أن تراجع

فمثلاً موضوع الوجوه والنظائر يحتاج إلى تحقيق وتدقيق ولا يُنقل مُسلما بحذافيره. وهذا يعرف بأدنى نظر ولا حاجة إلى ذكر الأمثلة فقد كتب أحد الباحثين دراسة للوجوه والنظائر فوجد أن جل ما ذكر إنما يعرف من السياق لا من ناحية الوجوه والنظائر بل من جهة المعاجم والقواميس[١]

وهناك الكثير من القواعد الكلية المسلمة لدى الجم الغفير من المفسرين التي تحتاج إلى تدقيق وتعليق.

فمثلاً قد استدرك الأستاذ الدكتور على محمد حسن العماري[٢] استدرك بعض هذه القواعد مثل ما ذكره السيوطي عن مجاهد قال: كل طعام في القرآن فهو نصف صاع، في كفارة اليمين وغيرها. وكثير من استعمالات القرآن يبطل ذلك القول قال سبحانه (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تنزلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) سورة آل عمران.

---

١ الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد الناشر دار الفكر بيروت.

٢ رسالة الأستاذ الدكتور على محمد حسن العماري الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب "هدية مجلة الأزهر شوال ١٤١٧ هـ. "

وما أخرجه ابن أبي حاتم عَنْ أَبِي مَالِكٍ، " قَوْلُهُ: "إِنَّ" بِكَسْرِ الأَلِفِ فَلَمْ يَكُنْ ". وهذا لا يستقيم مع بعض استعمالات القرآن الكريم. قال تعالى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)سورة آل عمران: ١٤٠. دخلت على مَسٍّ وقع؛ فإنها نزلت بعد غزوة أحد والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة.

ومما قاله السيوطي... أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كل آية ذكرها الله في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام، والنهي عن المنكر فهو عبادة الشيطان. ولكن المعروف كل ما عَرّفه الشرع ومدحه والمنكر كل ما نهى عنه الشرع وذمه. وإلا فقد حجر واسعاً بل حرمنا أنفسنا من الأمر بالخير في الفرائض والنوافل والنهى عن الكبائر أو الصغائر.. قال تعالى(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (١٠٤) (لَيْسُوا سَوَاءً... يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)سورة آل عمران. (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧)

**<u>وكذلك حقق شيخنا العلامة الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد بعض المسائل</u>**

ففي الإتقان: قال العلامة اللغوي ابن فارس: وكل ما فيه من ذكر البر والبحر، فالمراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس إلا – ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)سورة الروم. فالمراد به البرية والعمران[1]. وهذا خطأ؛ لأن تفسير(البر)بالتراب اليابس تخصيص بلا مخصص، وقد ألجأه ذلك إلى استثناء الآية المذكورة، وضيق عليه واسعا من المعاني، ينقض القاعدة نقضا. والصحيح أن،: " البر ضد البحر "مطلقا فيشمل التراب اليابس والطين الذي ليس بحرا، والعمران والبوادي، والجبال الصخرية التي ليست ترابا، بل يشمل" الجو "أيضا، لأنه ضد البحر وبذلك تستقيم جميع المعاني التي وردت بها الآيات الكريمة بلفظ" البر "فيدخل النقل الجوي في الامتنان الإلهي على العباد بقوله تعالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)١٠: سورة الإسراء. وهذا من إعجاز اللفظ القرآني، الذي يتبدى للناس في هذا الزمان، ويخطيء من يحّجر منه واسعا بتفسير أو بقاعدة غير مستوعبة.

وأيضا يدخل قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا)٩٦: سورة المائدة.

فلا شك أن (الجو) داخل في البر هنا فلو اصطاد المحرم بسهم أو برصاصة طائرا في الجو لوجبت عليه الكفارة، وعلى تفسير الإمام ابن فارس لا شيء عليه، لأنه لم يصطد على التراب اليابس أو هو حكم مسكوت عنه

---

١ الإتقان١٣٢/٢

وكلاهما" دعوى الإباحة أو السكوت "خطأ جاء من وضع القاعدة بلا استقراء كلي لمدلول" البر "في القرآن الكريم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: كل شيء في القرآن قليل فهو دون العشرة. [1]. وهذا كلام يدحضه ظاهر القرآن نفسه في عديد من الآيات الكريمة ويكفي قوله تعالى(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) سورة سبأ. ولو لم يدخل فيهم إلا أنبياء لكفى، ولجاوز العدّ [2].

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب. وهذا التعميم يبطله اختلاف القراء قال ابن الجزري: (واختلفوا) في (الرياح) هنا — أي البقرة- وفي الأعراف وإبراهيم والحجر وسبحان والكهف والأنبياء والفرقان والنمل والثاني من الروم وسبأ وفاطر وص والشورى والجائية فقرأ أبو جعفر على الجمع في الخمسة عشر موضعاً ووافقه نافع إلا في سبحان والأنبياء وسبأ وص ووافقه ابن كثير هنا والحجر والكهف والجائية، ووافقه هنا والأعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل وثاني الروم وفاطر والجائية البصريان وابن عامر وعاصم، واختص حمزة وخلف بإفرادها سوى الفرقان وافقهما الكسائي إلا في الحجر واختص ابن كثير بالإفراد في الفرقان (واتفقوا) على الجمع في

---

١ الإتقان ١٣٩/٢

٢الإتقان ١٣٦/٢ المدخل إلى التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد صـ٧٥، ٧٦ ففيه فوائد مهمة دار النشر والتوزيع الإسلامية الطبعة الثانية ١٤١١، ١٩٩١

أول الروم وهو (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) وعلى الإفراد في الذاريات (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) من أجل الجمع في (مبشرات) والإفراد في (العقيم)... [1]. فكيف تعمم قاعدة لا تعتمد على القراءات وما تدل عليه. وما قاله الفراء أن القراء اختلفوا في الرحمة الرياح ولم يختلفوا في العذاب (الريح) هذا القول يبطله استقراء القراءات المتواترة كما نقلناها عن ابن الجزري.

أما الحديث الذي اعتمدوا عليه فهو لا يُحتج به، قال البغوي بسنده أخبرنا الشافعي، أخبرنا من لا أتهم بحديثه، حدثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما هبَّت ريح قط إلا جثا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على ركبتيه، وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا. وهذا المبهم إبراهيم ابن أبي يحي ضعيف بل كذبه يحي بن سعيد القطان وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك. واعتذر ابن حبان للشافعي فقال: وأما الشافعي فإنه كان يجالس إبراهيم في حداثته، ويحفظ عنه حفظ الصبي. وفي السند أيضا العلاء بن راشد: مجهول والغريب أن الإمام مكي ابن أبي طالب يرجح في القراءات يقول الاختيار الجمع لأن عليه الأكثر من القراء، ولأنه أبين في المعنى لأنه موافق للحديث. وقد بان

---

١ النشر لابن الجزري ٢/٢٥٣، ٢٥٤

لنا سقوط هذا الحديث الذي لا ينهض للوقوف أمام القراءة المتواترة[1]. وقد أحسن الإمام الطحاوى في تعقب للإمام القدوة أبي عبيد ولكننا لا نوافقه في ترجيحه قراءة متواترة على أخرى متواترة... قال رحمه الله-... قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:... وَالْأَصْلُ الَّذِي اعْتَبَرْنَا بِهِ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا هَاجَتِ الرِّيحُ قَالَ: " اللهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا "فَكَانَ مَا حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ وَقَدْ كَانَ الْأَوْلَى بِهِ؛ لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَلِصِدْقِهِ فِي رِوَايَتِهِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ لَا يُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَنْهُ، ثُمَّ اعْتَبَرْنَا مَا فِي كِتَابِ اللهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْوَجْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَوَجَدْنَا اللهَ قَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] وَكَانَتِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ مِنَ اللهِ رَحْمَةً، وَالرِّيحُ الْعَاصِفُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ عَذَابًا فَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ مَا رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ [ص: ٣٨٠] ثُمَّ اعْتَبَرْنَا مَا يُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى... عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ قُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ

---

١ بتصرف واختصار من رسالة الأستاذ الدكتور على محمد حسن العماري الريح والرياح في القرآن الكريم

مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ [1]"

ونحو ذلك تأويلات المعتزلة للميزان والحساب بالعدل فعندهم: كل موضع ذكر الله فيه الميزان والحساب فإنه أراد العدل هذا ما قالته المعتزلة إذ لا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا حوض ولا شفاعة عندهم ذكره النسفي[2].

ويقارب ذلك ما ذكره السيوطي عن ابن خالويه: ليس في القرآن بعد بمعنى قبل إلا حرف واحد – (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ)الأنبياء: ١٠٥. قال مغلطاي في كتاب الميسر: قد وجدنا حرفاً آخر وهو قوله تعالى –" وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا "النازعات: ٣٠ – قال أبو موسى في كتاب المغيث: معناه هنا قبل؛ لأنه تعالى خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء، فعلى هذا خلق الأرض قبل السماء انتهى. فهذا على أحد أقوال

---

١ شرح مشكل الآثار (٢/ ٣٧٩، ٣٨٠، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)تحقيق: شعيب الأرنؤوط

الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م والحديث رواه الترمذي وقال: وَفِي البَاب عَنْ عَائِشَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ت شاكر (٤/ ٥٢١)

٢ الكليات لأبى البقاء الكفوى أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، صأ٩٤٢ دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري

المفسرين ويجب تحقيق في المسألة مظانه في تفسير الآيتين وقد رجح العلماء أن" قبل "بمعناها الأصلي ولا داعى لقلب المعاني.

المطلب الثاني حول القراءات

*- (لا يجوز التفسير بالقراءة الشاذة المخالفة للمتواترة).

تحدثت مع شيخي العلامة الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى-رحمه الله تعالى- وهذا مجمل ما أخبرني به رحمه الله

القراءات الشاذة ترفض قولاً واحد تلاوة وتعبداً؛ لأنها ليست قرآناً. وتلاوة للتعليم ممكن.

أما في الاحتجاج لحكم لغوي- فقهي – بياني، فهي حجة إذا رُويت بسند مقبول أما بالنسبة لقراءة الحسن وأبي حنيفة. فننظر في جزئيات القراءة قد نجدها مروية عن غير الحسن وعن غير أبي حنيفة. فتقبل خاصة إذا احتج بها أحد المفسرين أو تداولتها الكتب بدون نكير فإنها نقلت إليهم بطريق مقبول فاحتجوا بها.

أما إذا خالفت القراءة الشاذة القراءة المتواترة من كل وجه نطرح الشاذةً واحداً

على من يستشهد بالقراءة الشاذة أن يبين أنها شاذة. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ: القراءة الشاذة لا تُوجِب عِلماً ولا عملاً [1].

هذا وقد وجدنا بعض التفاسير الغريبة العجيبة التى لا يجوز أن يُفسر بها الكتاب المجيد. وبعد تتبعنا لها وجدنا أن قائلها قد اعتمد على قراءة شاذة بل ساقطة ولا سند لها عند من ذكرها كأن يقول بعد ذكر التفسير العجيب وقد قرئ بكذا وهاك بعض الأمثلة: -

*- في تفسير قوله تعالى(وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ) البقرة: ١٧٩) قيل القصاص هو قصص القرآن واستدل بقراءة أبي الجوزاء ولكم في القصص بالفتح وهو بعيد قال أبو حيان وقرأ أبو الجوزاء، أوس بن عبد الله الربعي: ولكم في القصص، أي: فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص، وقيل: القصص: القرآن، أي: لكم في القرآن حياة القلوب، كقوله: (رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا) وكقوله: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ). قلت وهذا بعيد كما قال الكرماني لا وسيما أن كل المفسرين ذكروه على ما هو معروف من غير تغير للمعنى الشرعي لكلمة القصاص أما أن القرآن حياة القلوب فيفهم من آيات آخر [2].

---

١ المحصول في أصول الفقه للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي صـ١٢٠ الناشر: دار البيارق – الأردن الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م تحقيق: حسين علي اليدري.

٢ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٩٦/١ البحر المحيط ١٨/٣

*- وفي تفسير قوله تعالى (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)المائدة: ٨٩. قرأ سعيد بن المسيب واليماني (كأسوتهم) بكاف الجر الداخلة على أسوة والمعنى أو طعامهم كأسوة أهليكم حتى زعم أبو حيان أن الآية تنفي الكسوة وليس بشيء كما قال الألوسي[١].

*- وفي تفسير قوله تعالى (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ )الأنعام: ٧٣) هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل مَيْتٍ. واعتلوا لقولهم ذلك بقوله: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ "سورة الزمر: ٦٨، وبالخبر الذي روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال إذ سئل عن الصور: هو قرن يُنفخ فيه[٢].

الدخيل: قرأ قتادة والحسن ومعاذ القارئ وأبو مجلز وأبو المتوكل«في الصور» ضم الصاد وفتح الواو جمع صورة والمراد بها الأبدان التي تقوم بعد نفخ الروح فيها..

الرد والتعقيب:

---

١ روح المعاني: ١٣/٧

٢ المسند رقم: ٦٥٠٧ أبو داود ٤: ٣٢٦ ورواه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٦٠، وقال: "حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملاً يردّ بما في الكتاب والسنة. قال أبو جعفر النحاس: هذا غلط عند أهل التفسير واللغة. قال ابن فارس: الصور الذي في الحديث كالقرن ينفخ فيه، والصور جمع صورة.

قال أبو الهيثم: من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط، وطلب لها تأويلات.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وفي صحيح مسلم (... ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق الناس[1]. وأنه قال: " الصور قرن ينفخ فيه ". وأيضا لا ينفخ في الصُوَر للبعث مرتين؛ بل ينفخ فيه مرة واحدة؛ فإسرافيل عليه السلام ينفخ في الصُور الذي هو القرن والله عز وجل يحيي الصُوَر. قال القرطبي:... وليس جمع صورة كما زعم بعضهم؛ أي ينفخ في صُوَر الموتى. وكذا في التنزيل" ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى "الزمر: ٦٨ ولم يقل فيها؛ فعلم أنه ليس جمع الصورة. والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام. والله أعلم. قال الألوسي: ورد ذلك أظهر من أن يخفى[2].

---

١ مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه١٧/٧٦

٢ الطبري ٢٤١/٧ النحاس ٤٨٦/٢ زاد المسير ٦٩/٣ القرطبي٢٠/٧ الشوكاني ١٣١/٢ روح المعاني ١٩١/٧، ٤٤/١٦

*- معنى الجمل في قوله تعالى (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ)

في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ)الأعراف ٤٠.

قال ابن كثير: هكذا رواه الجمهور وفسروه بأنه البعير قال ابن مسعود هو الجمل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البعير في خرق الإبرة وكذا قال أبو العالية والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس.

وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (يلج الجُمَّل في سم الخياط) بضم الجيم وتشديد الميم يعني الحبل الغليظ في خرم الإبرة وهذا اختيار سعيد بن جبير وفي رواية أنه قرأ حتى يلج (الجمل) يعني قلوس السفن وهي الحبال الغلاظ

قال البيضاوي: حتى يلج (الجمل) في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف عليه.

وقال الألوسي هو البعير إدا بزل وجمعه جمال وأجمال ويجمع الأخير على جمالات وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال: هو زوج الناقة. وعن الحسن أنه قال ابن الناقة الذي يقوم في المربد على أربع قوائم وفي ذلك استجهال للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف والعرب تضرب به

المثل في عظم الخلقة فكأنه قيل حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم في سم الخياط أي ثقبة الإبرة وهو مثل عندهم أيضا في ضيق المسلك وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه بل لا تتعلق به القدرة لعدم إمكانه مادام العظيم على عظمه والضيق على ضيقه وهي إنما تتعلق بالممكنات الصرفة والممكن الولوج بتصغير العظيم أو توسيع الضيق وقد كثر في كلامهم مثل هذه الغاية فيقولون: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتي يبيض القار، وحتى يؤوب القارظان[1]. ومرادهم لا أفعل كذا أبداً.

وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والشعبي" الجُمَّل "بضم الجيم وفتح الميم المشددة كالقمل وقرأ عبد الكريم وحنظلة وابن عباس وابن جبير في رواية أخرى" الجُمَل "بالضم والفتح مع التخفيف كنغر وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ (الجُمْل) بضم الجيم وسكون الميم كالقفل و" الجُمُل "بضمتين كالنصب وقرأ أبو السمال (الجمل)بفتح الجيم وسكون الميم كالحبل وفسر في جميع ذلك بالحبل الغليظ من القنب وقيل هو حبل السفينة[2]. ولكن الأولى الاعتماد على القراءة المتواترة لا سيما أن السلف

---

١ والقَارِظانِ: رَجُلانِ من عنزة يُقَالُ: إِنَّهُمَا خَرَجَا فِي طَلَبِ القَرَظِ يَجْتنيَانِهِ فَلَمْ يَرْجِعَا فضُرِبَ بِهِمَا المَثَلُ فَقَالُوا: لا آتِيكَ أَوْ يَؤُوبَ القارِظُ يُضْرَبُ فِي انْقِطَاعِ الغَيْبَةِ. – القَرَظُ مُحَرَّكَة: وَرَقُ شجر يُدْبَغُ بِهِ. "اللسان وتاج العروس مادة " قرظ"

٢ ابن كثير ٢/٢١٥ البيضاوي ٢٠/٣ والألوسي١١٨/٨، ١١٩ زاد المسير ١٩٧/٣ فتح القدير ٢٠٥/٢

بينوا أنه ابن الناقة ولا داعي للقول بأنه حبل السفينة ولأن المثل يبلغ الغاية في بيان الاستحالة بقولنا إنه ابن الناقة كما لا يخفى. وكما قال تفسير الزمخشري... إلا أن قراءة العامّة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك. يقال: أضيق من خرت الإبرة. وقالوا للدليل الماهر: خرّيت، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر. والجمل: مثل في عظم الجرم... فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع، في ثقب الإبرة. [1]

*- في تفسير قوله تعالى" وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ "هود: ٤٢. قال الزمخشري: وقرأ على رضى الله عنه:

ابنها، والضمير لامرأته. وقرأ محمد بن على وعروة بن الزبير: ابنه، بفتح الهاء، يريدان ابنها، فاكتفيا بالفتحة عن الألف، وبه ينصر مذهب الحسن. قال قتادة: سألته فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إنّ الله حكى عنه إن ابني من أهلى، وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل بقوله(مِنْ أَهْلِي) ولم يقل: منى، ولنسبته إلى أمّه وجهان، أحدهما: أن يكون ربيباً له، كعمر بن أبى سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون لغير رشدة، وهذه

---

١ الكشاف (٢/ ١٠٣)

غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام[1]. قلت وفي كل ذلك من التكلف ما لا يخفى. قال الألوسي: وفي إضافته إليها إشعار بأنه ربيبه لأن الإضافة إلى الأم مع ذكر الأب خلاف الظاهر... ونسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد- كما زعم الطبرسي- كذب صريح[2]،

*- كلب أصحاب الكهف

في تفسير قوله تعالى (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) الكهف: ١٨قال ابن جريج: قلت لرجل من أهل العلم زعموا أن كلبهم كان أسداً فقال لعمر الله ما كان أسداً ولكنه كان كلباً أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له قطمورا وأبعد من هذا زعم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم.

وفى تفسير التسترى: سئل عن قوله: الرَّقِيمِ] فقال: الرقيم هو رئيسهم، وهو المسمى بالكلب، وليس بكلب لهم، قال الله تعالى: وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ [١٨] أي باسط ذراعيه بالأمر والنهي. وحكى أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب أنه قريء" وكالؤهم "بهمزة مضمومة بدل الباء وألف بعد الكاف من كلأ إذا حفظ ولا يبعد فيه أن يراد الرجل الربيئة لكن ظاهر القراءة المتواترة يقتضي إرادة الكلب المعروف منه أيضاً وإطلاق ذلك عليه لحفظ ما استحفظ عليه وحراسته إياه وقيل في هذه القراءة إنها تفسير أو تحريف وقرأ

١ الكشاف (٢/ ٣٩٦) البيضاوي (٣/ ١٣٥)

٢ روح المعاني (٦/ ٢٥٦)

جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه" وكالبهم "بباء موحدة وزنة اسم الفاعل والمراد صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر[1].

*وفي تفسير قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً١٧)سورة مريم. قال أبو حيان وذكر النقاش أنه قرىء" رُوحَنَّا "بتشديد النون اسم ملك من الملائكة[2]. *- الدخيل بسبب ما يتعلق بالوقف والابتداء.

قال ابن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن قال غيره: وكذا علم الفقه[3].

قال ابن الجزري: تنبيهات

(أولها) قول الأئمة لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا علي الفعل دون الفاعل ولا على الفاعل دون المفعول ولا على المبتدأ دون الخبر ولا على نحو كان وأخواتها وإن وأخواتها دون أسمائها ولا على النعت دون المنعوت ولا على المعطوف عليه دون المعطوف ولا على المعطوف عليه دون المعطوف ولا على القسم دون جوابه ولا على حرف دون ما دخل عليه إلى آخر ما ذكروه وبسطوه من ذلك إنما يريدون بذلك الجواز الأدائي وهو الذي وهو الذي يحسن في القراءة، ويروق في التلاوة. ولا يريدون بذلك أنه حرام

---

١ الألوسي ٢٢٥/١٥، فسير التستري (ص: ٩٧)

٢ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٦٩٠/١ البحر المحيط ١٧٠/٦ روح المعاني ٧٥/١٦

٣ الإتقان ٢٤٢/١

ولا مكروه ولا ما يؤثم. بل أرادوا بذلك الوقف الاختياري الذي يبتدأ بما بعده. وكذلك لا يريدون بذلك أنه لا يوقف عليه البتة فإنه حيث اضطر القارئ إلى الوقف على شيء من ذلك باعتبار قطع نفس أو نحوه من تعليم أو اختبار جاز له الوقف بلا خلاف عند أحد منهم ثم يعتمد في الابتداء ما تقدم من العودة إلى ما قبل فيبتدئ به، اللهم إلا من يقصد بذلك تحريف المعنى عن مواضعه، وخلاف المعنى الذي أراد الله تعالى فإنه والعياذ بالله يحرم عليه ذلك ويجب ردعه بحسبه على ما تقتضيه الشريعة المطهرة والله تعالى أعلم. (ثانيها) ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً وابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه بل ينبغي تحري المعنى الآتم والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على(وَارْحَمْنَا أَنْتَ) - والابتداء — (مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا) (٢٨٦) البقرة - على معنى النداء، ونحو (ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ) - ثم الابتداء (بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا)النساء ٦٢، ونحو (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ (١٣)سورة لقمان) ثم الابتداء (بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ) على معنى القسم ونحو (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ)١٥٨: سورة البقرة. ونحو (فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا)٤٧: سورة الروم ويبتدأ (عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)، و(عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) بمعنى واجب أو لازم ونحو الوقف على (وَهُوَ اللَّهُ) والابتداء (فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) وأشد قبحاً من ذلك الوقف على (فِي السَّمَاوَاتِ) والابتداء (وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ)٣: سورة الأنعام. ونحو الوقف

على (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) ٦٨: سورة القصص. مع وصله بقوله (وَيَخْتَارُ) على أن" ما "موصولة، ومن ذلك قول بعضهم في (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)١٨الإنسان. أن الوقف على (تسمى) أي عيناً مسماة معروفة. والابتداء (سل سبيلا) هذه جملة أمرية أي اسأل طريقاً موصلة إليها، وهذا مع ما فيه من التحريف يبطله إجماع المصاحف على أنه كلمة واحدة، ومن ذلك الوقف على (لَا رَيْبَ) والابتداء (فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) البقرة. وهذا يرده قوله تعالى في سورة السجدة (لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ومن ذلك تعسف بعضهم إذ وقف على (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ) ويبتدئ (اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)سورة التكوير. ويبقي" يشاء "بغير فاعل فإن ذلك وما أشبهه تمحل وتحريف للكلم عن مواضعه يعرف أكثره بالسباق والسياق. [1].

*(وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩): سورة القصص.

روى عن ابن عباس: الوقف على قوله: (وَلَكَ لَا) وهو رضي الله عنه.، ذهب إلى ذلك المعنى، لأن مآل أمره إلى النار والهلاك، ومآل أمرها إلى الثواب والجنة. أما من حيث الإعراب، ففاسد لا يمكن الابتداء بما بعده،

---

١ الإتقان١/٢٣٩- وقد أفاض ابن الجزري-رحمه الله- في ذكر الأمثلة ولا غني عن مطالعته النشر في القراءات العشر -١/٢٣٠ -٢٣٦ - للحافظ أبي الخير محمد بن محمد -ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية دار الكتب العلمية بيروت- لبنان

وأيضا فإنها ما كانت تتجاسر على أن تخاطب فرعون بمثل هذا، كيف وهي تستميل قلبه بقولها(عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وروي عن نافع الوقف على قوله) لي) والابتداء بقوله: (ولك لا تقتلوه) على تقدير ولك أن لا تقتلوه، أو ولك أن تقول لا تقتلوه. وفيه أيضا ضعف [١].

* (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)الزخرف. إن كان للرحمن ولد فأنا، لكن ليس له ولد[٢].

وحول كتابة المصحف وضبط الكلمات نذكر هذا المثال

فى تفسير قوله تعالى" وَقَضَى رَبُّكَ "قال الرازى: وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال: في هذه الآية كان الأصل ووصى ربك فالتصقت إحدى الواوين بالصاد فقرىء: " وَقَضَى رَبُّكَ "ثم قال: ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط، لأن خلاف قضاء الله ممتنع، هكذا رواه عنه الضحاك وسعيد بن جبير، وهو قراءة علي وعبد الله. واعلم أن هذا القول بعيد جداَ؛ لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن، ولو جوزنا ذلك

---

١ العجائب ٨٦٣/٢

٢ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٦٩/٢ ونسبه المحقق لمجاهد وعزاه للقرطبي ولم أجده والمحقق غير دقيق بل في القرطبي وقال مجاهد: المعنى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده وحده، على أنه لا ولد له. القرطبي ١١٩/١٦

لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين)[1].

*- بعض التجاوزات في بيان الأحرف السبعة

اختلف العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة حتى وصل عدد الأقوال إلى الأربعين. ولن ندخل في الترجيح والمناقشة فهذا قد كفانا مؤنته شيخنا العلامة الدكتور إبراهيم خليفة – حاصل معنى الحرف هنا الوجه من وجوه القراءة–ثم إن القراءات العشر المشهورة بين أيدي الناس اليوم هي جميع الأحرف السبعة– ولم تضيع الأمة حرفاً واحداً. هذا ما حققه شيخنا – حفظه الله–.

ولكن المهم أننا نحذر من بعض الروايات التي تجدها في كتب التفسير وعلوم القرآن التي توضح المراد بها مثل

*- روى أبو داود عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَا أُبَيُّ إِنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ فَقِيلَ لِي عَلَى حَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعِي قُلْ عَلَى حَرْفَيْنِ قُلْتُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقِيلَ لِي عَلَى حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعِي قُلْ عَلَى ثَلَاثَةٍ قُلْتُ عَلَى ثَلَاثَةٍ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ

---

١ الرازي ٢٠/١٤٧

أَحْرُفٍ ثُمَّ قَالَ لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ إِنْ قُلْتَ سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ [1].

*- وروى ابن جرير من طريق عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال جبريل: اقرأوا القرآنَ على حرف. فقال ميكائيل: استزده. فقال: على حرفين. حتى بلغَ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شافٍ كافٍ، ما لم يختم آيةَ عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب. كقولك: هلمَّ وتعالَ [2].

قال عبد الله: إني قد سمعت إلى القَرَأةِ، فوجدتُهم متقاربين فاقرأوا كما عُلِّمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال [3].

عن الأعمش قال: قرأ أنس هذه الآية: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا) المزمل: ٦ فقال له بعض القوم: يا أبا حَمزة، إنما هي" وأَقْوَمُ "فقال: أَقْوَمُ وأصْوَبُ وأهَيأ، واحدٌ.

وروى الطبري عن محمد-أي ابن سيرين-، قال: نُبئت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال له جبرائيل: اقرأ القرآن على

---

١ بَاب أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ رقم(١٢٦٢)

٢ ابن جرير ٤٣/١ وقال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني بنحوه، إلا أنه قال: واذهب وأدبر. وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح". مجمع الزوائد ٧: ١٥١

٣ ابن جرير ٥٠/١

حرفين. فقال له ميكائيل: استزده. فقال: اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف. فقال له ميكائيل: استزده. قال: حتى بلغ سبعة أحرف، قال محمد: لا تختلفُ في حلال ولا حرام، ولا أمرٍ ولا نهي، هو كقولك: تعال وهلم وأقبل، قال: وفي قراءتنا" إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً "يس: ٢٩، ٥٣، في قراءة ابن مسعود (إن كانت إلا زقية واحدة)[١].

* وروى الطبري عن سعيد بن المسيّب: أن الذي ذكر الله تعالى ذكره أنه قال" إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ "سورة النحل: ١٠٣ إنما افتُتن أنه كان يكتب الوحيَ، فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: سميعٌ عليمٌ، أو عزيزٌ حكيمٌ، أو غير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو عَلى الوحي، فيستفهمُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيقول: أعزيز حكيمٌ، أو سميعٌ عليم أو عزيز عليم؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ ذلك كتبت فهو كذلك. ففتنه ذلك، فقال: إن محمدًا وَكَلَ ذلك إليّ، فأكتبُ ما شئتُ. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة [٢]،

---

١ الطبري ٥٣/١، ٥٤ قال الشيخ شاكر: محمد: هو ابن سيرين التابعي، فالحديث مرسل. ثم هو لم يدرك ابن مسعود، فحكايته عنه قراءته منقطعة. وكذا قال شيخنا وزاد ومع ذلك فإن المتن القول فيه كسابقه "الإحسان ١٢٣"

٢ الطبري ٥٤/١

الرد على هذه المرويات هذه المرويات إن لم تسقط سنداً فلا محالة تسقط متناً[1].

قال شيخنا هذا الأثر –الأخير–إنه من السقوط عن درجة الاعتبار بالكلية بحيث لم يكن ينبغى لأحد أن يروي مثله إلا لإبلاغ القول في الزراية عليه والتشنيع على قائله لا ليذكر هكذا دون تعليق! وبين حفظه الله أنه فوق كونه مرسلا لا يصلح للحجاج في مثل هذه المطالب العلية هو فوق ذلك من الكذب المفترى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والذي حدد افتراءه هو من كان وقت صدوره منه كان كافرا بالله ورسوله جاحدا بكتابه ودينه فإنه على فرض صدور هذا من أحد كان يكتب الوحي لرسول الله بالفعل فإنه لا يتصور أن يصدر عنه إلا حال ردته بل بلوغه من هذه الردة أقبح مبلغ أليس يقول في شأن النبي والقرآن(إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وكل إليه أمر القرآن يضع فيه ما يشاء ويحذف منه ما شاء أو يبدل ما يشاء كيف يشاء فحتى لو قلنا إنه قد أسلم كعبد الله بن سعد بن أبي السرح فهل يقبل منه ما أداه أثناء ردته فهذا من اللغو الساقط والخلف الظاهر لأصغر طلبة العلم فضلاً عن أكابر العلماء كالطبري وأمثاله ولما رأى شيخنا أن كل الآثار تتفق في متونها فرد متونها جميعاً بتحقيقه الفريد المفيد فقال أيده الله بالتوفيق والسداد والقبول

---

١ أو تأويلها بلا تكلف

: إن كان ما أوردتم هو على ما فهمتموه منه بالفعل فهو من الباطل المردود لدى كل عاقل من أهل الإسلام وكيف ومقتضاه:

أ-جواز رواية القرآن بالمعنى.

ب-وأن إعجاز القرآن حاصل بألفاظ الخلق لا بأقوال الحق فتنقلت بالضرورة حقيقة الإعجاز من خرق العادة إلى عدم خرقها أو يجتمع النقيضان.

ج-وأن ألفاظ الخلق متعبد بتلاوتها في الصلاة وغيرها يحرم مسها على المحدث وقراءتها على الجنب والحائض والنفساء.

د-أن القرآن ليس كلام الله بل هو كلام الناس.

هـ- وأن التقول على الله جائز غير ممتنع كما هو المنصوص في آخر إلحاقه لا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فحسب بل على الناس كل الناس.

و- وأن القرآن متناقض مع الواقع في شهادته لنفسه بعكس هذا كله بل مع نفسه أيضا في أكثر هذا وأنه بالتالي من عند غير الله. أليس قد شهد لنفسه بالإعجاز وأنه كلام الله وأن التقول على الله ممتنع حتى على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نفسه؟ [1].

القول في قراءة ابْنِ مَسْعُودٍ

---

[1] الإحسان في علوم القرآن الأستاذ الدكتور العلامة / إبراهيم خليفة صـ١٢٤ -١٨٢

قال أبو بكر بن العربي رُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَقْرَأَ رَجُلًا (طَعَامَ الْأَثِيمِ)الدخان: فَلَمْ يَفْهَمْهَا؛ فَقَالَ لَهُ: طَعَامُ الْفَاجِرِ، فَجَعَلَهَا النَّاسُ قِرَاءَةً، حَتَّى رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: أَقْرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَجُلًا (إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) فَجَعَلَ الرَّجُلَ يَقُولُ: طَعَامُ الْيَتِيمِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: طَعَامُ الْفَاجِرِ. فَقُلْت لِمَالِكٍ: أَتَرَى أَنْ يَقُولَ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَرَوَى الْبَصْرِيُّونَ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يُقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ بِمَا يُرْوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَقَالَ ابْنُ شَعْبَانَ: لَمْ يَخْتَلِفْ قَوْلُ مَالِكٍ إنَّهُ لَا يُصَلَّى بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى بِهَا أَعَادَ صَلَاتَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِالتَّفْسِيرِ.

وَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِي حَالِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَلَوْ صَحَّتْ قِرَاءَتُهُ لَكَانَتْ الْقِرَاءَةُ بِهَا سُنَّةً، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَضَافُوا إلَيْهِ مَا لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ: لَا يُقْرَأُ بِمَا يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَاَلَّذِي صَحَّ عَنْهُ مَا فِي الْمُصْحَفِ الْأَصْلِيِّ [1]. وما ينسب للصحابة من القول بوجود خطأ في كتابة القرآن فكله باطل لا يليق نسبته للصحابة والردود أشهر من أن تذكر.

*- من الدخيل رد القراءات المتواترة:

قال تعالى (وَكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ (١٣٧)الأنعام

---

١ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ١٦٩١/٤، ١٦٩٢

قال أحمد رحمه الله: لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء. وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به «فانه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهاداً، لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه،... فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه، وكان الصواب خلافه والفصيح سواه، ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفعل بين المضاف والمضاف إليه، بها يعلم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك، ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤن بها خلفاً عن سلف، إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضاً كما سمعها. فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم. فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر، فان المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة. ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين، أعنى علم القراءة وعلم الأصول، ولا يعد من ذوى

الفنين المذكورين، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين. وأنه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة(قلت بل العشرة) فيها ما ليس متواتراً، فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل. وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر. وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل. وهذا لم يقل به أحد من المسلمين. وما حمله على هذا الخيال إلا التغالى في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية، فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها، ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطرداً، فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه. وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً، إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل، وبهذا التقدير عمل، وهو أن لم تكن إضافته غير محضة، إلا أنه شبه بما إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة: إن إضافته ليست محضة لذلك [1]

---

١ تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٨)

## الفصل الثالث

## نماذج من الدخيل بالرأي

### الدخيل في تفسير سورة الفاتحة

في تفسير قوله تعالى(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

١- معنى الباء

قال القرطبي: قال العلماء: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أوفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري.

قلت: نعم من معاني الباء القسم نحو بالله لقد قام.

فقد قال أبو حيان في البحر: باء الجر تأتي لمعان: للإلصاق، والاستعانة، والقسم، والسبب، والحال، والظرفية، والنقل. ثم مثل لكل نوع.

ولكن هنا في البسملة لا تصلح للقسم فلم يذكر جواب القسم وما لا يحتاج إلى حذف أولى مما يحتاج إليه[١] ولا داعي لدعوى القسم فسياقها في بداية السورة وما ورد في فضلها- أي البسملة- والحث على ذكرها يدل على أنها بعيدة عن معنى القسم. وذكر العلامة أبو السعود فائدة ذكر الاسم في بسم

---

١ قال الخضري: ومن الغريب كونها للقسم فيحتاج لتقدير مقسم عليه "حاشية لخضري صـ٤ "

الله فقال: وإنما لم يقل باللّهِ للفرق بين اليمين والتيمُّن، أو لتحقيق ما هو المقصودُ بالاستعانة هاهنا، فإنها تكون تارة بذاته تعالى. وحقيقتها طلبُ المعونة على إيقاع الفعل وإحداثه... وتارة أخرى باسمه عز وعلا. وحقيقتها طلبُ المعونة في كون الفعل معتداً به شرعاً فإنه ما لم يُصَدَّر باسمهِ تعالى يكون بمنزلةِ المعدوم. ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعةً وجب تعيينُ المراد بذكر الاسم. إن قيل: فليُحمل الباء على التبرك وليستَغْنَ عن ذكر الاسم، لما أن التبرك لا يكون إلا به، قلنا: ذاك فرعُ كون المراد بالله هو الاسم، وهل التشاجرُ إلا فيه، فلابد من ذكر الاسم لينقطعَ احتمالُ إرادة المسمَّى. ويتَعَينُ حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك. وإنما لم يكتب الألف لكثرة الاستعمال.

وفي كتب التفسير مثل البحر المحيط وتفسير السمرقندىوالإرشاد والنسفي والبيضاوي وغيرها. هل الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو الاستعانة ولم نجد من ذكر أنها قسم من ربنا جل جلاله[1]. وقد رده علماء اللغة كذلك فقد قال الصبان: ولا يخفى بعد هـ وإحواجه إلى تقدير مقسم عليه من غير دليل قوى في المقام بل لا يصح في بعض المواضع [2].

٢- ما ورد في تفسير (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

---

١ أبو السعود ٩/١، ١٠

٢ الرسالة الكبرى على البسملة للشيخ محمد بن على الصبان ص١٩ دار البصائر

أخرج ابن جرير وابن عدي في الكامل وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي بسند ضعيف جدا عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ" إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم: اكتب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قال له عيسى: وما باسم الله؟ قال المعلم: لا أدري! فقال له عيسى (الباء) بهاء الله (والسين) سناؤه (والميم) مملكته، (والله) إله الآلهة[1] (والرحمن) رحمان الدنيا والآخرة، (والرحيم) رحيم الآخرة ".: فأخشى أنْ يكون غلطًا من المحدِّث، وأن يكون أراد [ب س م]، على سبيل ما يعلَّم المبتدئ من الصبيان في الكتّاب حروف أبي جاد، فغلط بذلك، فوصَله، فقال: " بسم "، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تُلي" بسم الله الرحمن الرحيم "، على ما يتلوه القارئ في كتاب الله، لاستحالة معناه على المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها، إذا حُمِل تأويله على ذلك[2]. وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث موضوع، لا أصل له... وذكر أن ابن حبان رده ثم قال وذكره ابن كثير في

---

١ هل يعتقد مسلم أن أحد التابعين يروي هذا الهراء فضلا عن الصحابة فضلا عن رسول الله بل نقول إنه لا يجوز أن ينسب إلى مسلم أصلا ولعل في الرواية دس من الملاحدة فمع ما فيها من التخريف اشتملت على هذا التخريف.

٢ جامع البيان في تأويل القرآن عليه تحقيق الشيخ أحمد شاكر ١/١٢١، ١٢٢ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١١٩ تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

التفسير... ثم قال: " وهذا غريب جداً، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات "! وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب، فتسقط روايته بمرة، ولا يحتاج إلى هذا التردد[1]. وأما السيوطي، فقد ذكره في الدر المنثور... فذكر أنه" بسند ضعيف جدا "وقال ابن حجر: إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي" مجمع على تركه ". وذكر هو والذهبي هذا الحديث مثالا من أكاذيبه. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك. مثل قوله. وقال ابن كثير: وهذا غريب جدا وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات والله أعلم وقال شيخ المفسرين الإمام الطبري عن هذا الأثر: أخشى أن يكون غلطا من المحدث وأن يكون أراد ب س م على سبيل ما يعلم المبتدى من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد فغلط بذلك فوصله فقال بسم؛ لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلي بسم الله الرحمن الرحيم على ما يتلوه القارىء في كتاب الله لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها إذا حمل تأويله على ذلك. وقال الشوكاني: وفي إسناده إسماعيل بن يحيى وهو كذاب وقد أورد هذا الحديث ابن الجوزي

---

[1] لكنه لم يتردد في البداية والنهاية بل جزم بوضعه ونقل ذلك عن ابن عدي البداية والنهاية ٩١/٢

في الموضوعات[1]. وقد ذكر القرطبي من العجيب نحو ما سبق فقال وقد فسره بعضهم على الحروف؛ فروي عن عثمان بن عفان أنه سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن تفسير (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال: (أما الباء فبلاء الله وروحه ونضرته وبهاؤه وأما السين فسناء الله وأما الميم فملك الله وأما الله فلا إله غيره وأما الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة). وروي عن كعب الأحبار أنه قال: الباء بهاؤه والسين سناؤه فلا شيء أعلى منه والميم ملكه وهو على كل شيء قدير فلا شيء يعازه. وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه؛ فالباء مفتاح اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مليك، والألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والهاء مفتاح اسمه هادي، والراء مفتاح اسمه رازق، والحاء مفتاح اسمه حليم، والنون مفتاح اسمه نور؛ ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كل شيء والكلام فيه كسابقه. قال البروسوي: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه والألف أحديته واللامان جماله وجلاله والهاء هويته والرحمان إشارة إلى رحمته لأهل العموم فى الدنيا والآخرة والرحيم إشارة رحمته لأهل الخصوص فى الآخرة، قال بعض الكبار إنها بسملة براءة فى الحقيقة ولكن لما وقع التبرى من أهلها أعطيت للبهائم التى آمنت بسليمان واكتفى فى أول

---

١ الطبري ١/٢٥ الدر المنثور ١/٢٣ فتح القدير ١/١٨ ابن كثير ١/١٨

السورة بالباء إذ كل شيء فى الوجود الكونى لا يخلو من رحمة الله عامة أو خاصة وهذه البسملة[1] ولله در قاضي القضاة الماوردي الذي شنع على هذا القول قائلاً: وتكلف من رَاعَى معاني الحروف بسم الله تأويلاً، أجرى عليه أحكام الحروف المعنوية، حتى صار مقصوداً عند ذكر الله في كل تسمية، ولهم فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الباء بهاؤه وبركته، وبره وبصيرته، والسين سناؤه وسموُّه وسيادته، والميم مجده ومملكته ومَنُّه، وهذا قول الكلبي.

والثاني: أن الباء بريء من الأولاد، والسين سميع الأصوات والميم مجيب

والثالث: أن الباء بارئ الخلق، والسين ساتر العيوب، والميم المنان، وهذا قول أبي روق.

ولو أن هذا الاستنباط يحكي عمَّن يُقْتدى به في علم التفسير لرغب عن ذكره، لخروجه عما اختص الله تعالى به من أسمائه، لكن قاله متبوع فذكرتُهُ مَعَ بُعْدِهِ حاكياً، لا محققاً ليكون الكتاب جامعاً لما قيل.

قلت: وهذا لا يحتاج إلى تعليق والغرض من ذكره تمثيل لما قيل. فقد تجد في كتب التفسير ما لا يليق بكتاب الله ومن يذكره فإنما يحكيه وقد لا يرده لظهور بطلان ذلك القول في عصره ومع مرور الزمن وتطاول العمر نسي الناس ما ذكروا به ولهوا عن الفهم الصحيح لكتاب الله فتجد من يذكر نحو

---

١ روح البيان ٣١٨/٦

تلك الأقوال السقيمة وينسبها إلى كتب التفسير أو غيرها، ليروج كلامه وإن كان باطلاً[1].

٣-ما ورد في تفسير (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

روي ابن جرير عن عبد الله بن عباس، قال: الرحمن، الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب. قال: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): الرقيقُ الرفيقُ بمن أحبَّ أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنُف عليه. وكذلك أسماؤه كلها. وذكره ابن كثير وقال عن إسناده في موضع سابق: ... فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا". [2]. وروي البيهقي في الشعب من طريق مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال إن الله عز وجل قد أنزل علي سورة لم ينزلها على أحد من الأنبياء والرسل قبلي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبادي فاتحة الكتاب جعلت نصفها لي ونصفها لهم وآية بيني وبينهم فإذا قال العبد (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)قال الله عز وجل عبدي دعاني باسمين رقيقين أحدهما أرق من الآخر فالرحيم أرق من الرحمن وكلاهما رقيقان فإذا قال الحمد لله قال شكرني عبدي وحمدني فإذا قال رب العالمين قال الله شهد عبدي أني رب العالمين يعني رب الجن والإنس والملائكة والشياطين وسائر الخلق ورب كل شيء وخالق كل شيء فإذا قال

---

١ النكت والعيون ٤٩/١

٢ الطبري ١٢٩/١ القرطبي ١٠٦/١ ابن كثير ١١٣/١ و١٢٧/١ الدر المنثور ٢٤/١

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قال مجدني عبدي فإذا قال مالك يوم الدين يعني بيوم الدين يوم الحساب الله شهد عبدي أنه مالك ليوم الحساب أحد غيري وإذا قال مالك يوم الدين فقد أثنى علي عبدي إياك نعبد يعني الله أعبد وأوحد وإياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي إياك نعبد فهذه لي وإياك نستعين فهذه له ولعبدي ما سأل بقية هذه السورة اهدنا أرشدنا الصراط المستقيم يعني دين الإسلام؛ لأن كل دين غير الإسلام فليس بمستقيم الذي ليس فيه التوحيد صراط الذين أنعمت عليهم يعني به النبيين والمؤمنين الذين أنعم الله عليهم بالإسلام المغضوب عليهم يقول أرشدنا عير دين هؤلاء الذين غضبت عليهم وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى أضلهم الله بعد الهدى بمعصيتهم غضب الله عليهم فجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت يعني الشيطان أولئك شر مكانا في الدنيا الآخرة يعني شر منزلا من النار وأضل عن سواء السبيل من المؤمنين يعني أضل عن قصد السبيل المهدي من المسلمين قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فإذا قال الإمام ولا الضآلين فقولوا آمين يجبكم الله قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال لي يا محمد هذه نجاتك ونجاة أمتك ومن اتبعك على دينك من النار وقوله رقيقان قيل هذا تصحيف وقع في الأصل وإنما هما رفيقان والرفيق من أسماء الله تعالى[1].

---

١ شعب الإيمان٢/٤٤٧، ٤٤٨

وهذا من الدخيل المردود سندا ومتنا

١-أما من ناحية السند فقد قال ابن حجر: والحديث المذكور عن ابن عباس لا يثبت؛ لأنه من رواية الكلبي عن ابن صالح عنه، والكلبي متروك الحديث وكذلك مقاتل. قلت: وكذلك رواية البيهقي في الشعب فيها مقاتل بن سليمان وفيها الضحاك لم يسمع ابن عباس.

٢- أما من ناحية المتن فقد قال الخطابي: وهذا مشكل؛ لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى. ونقل البيهقي عن الحسين بن المفضل البجلي أنه نسب راوي حديث ابن عباس إلى التصحيف وقال إنما هو الرفيق بالفاء وقواه البيهقي بالحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة مرفوعا "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطي على العنف". ثم قال -لعله البيهقي-و "الرحمن" خاص في التسمية عام في الفعل، و"الرحيم" عام في التسمية خاص في الفعل[1].

٤- وَرَوَى اِبْن جَرِير مِنْ طَرِيق عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ أَنَّ غَيْر اللَّه لَمَّا تَسَمَّى بِالرَّحْمَنِ كَمُسَيْلِمَةَ جِيءَ بِلَفْظِ الرَّحِيم لِقَطْعِ التَّوَهُّم فَإِنَّهُ لَمْ يُوصَف بِهِمَا أَحَد إِلَّا اللَّه.

قلت ولا دليل على ما ذهب إليه والبسملة من أوائل ما نزل واسم الله الرحمن ورد مفردا من غير أن يذكر مع الرحيم كما في سورة الرحمن! ولما

---

١ القرطبي الفتح

تسمى مسيلمة هكذا كان يقال رحمان اليمامة ثم لصق به وصف هو جدير به ألا وهو الكذاب.

٥-قوله تعالى (العَالَمِينَ)

الأصيل: قال قتادة: العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله ولا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم. وهذا القول كما قال القرطبي: أصح الأقوال لأنه شامل لكل مخلوق وموجود؛ دليله قوله تعالى (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) الشعراء

الدخيل

روايات تناقضت فتساقطت كما أنها موقوفة على من هو دون المعصوم.

١-قال وهب بن منبه إن لله عز وجل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها.

٢-وقال أبو سعيد الخدري إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد ٣-قال مقاتل العالمون ثمانون ألف عالم أربعون ألف عالم في البر وأربعون ألف عالم في البحر.

٤-وقال أبو العالية: الجن عالم والإنس عالم وسوى ذلك للأرض أربع زوايا في كل زاوية ألف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته.

٥- وحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال العالمين ألف أمة فست مئة في البحر وأربع مئة في البر. وقد روي نحو هذا مرفوعا عند الحافظ أبي يعلى من طريق محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد

الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسئل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رئي من الجراد شيء أم لا قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول خلق الله ألف أمة ست مئة في البحر وأربع مئة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال لله ألف عالم ست مئة في البحر وأربع مئة في البر.

. قال ابن كثير راداً أحد الأقوال السابقة وأرى أنه ينسحب إلى جميعها: وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح [1].

٦- ما ورد في تفسير الصراط في قوله تعالى "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة: ٦ حكى النقاش الصراط الطريق بلغة الروم. فرده ابن عطية قائلاً: وهذا ضعيف جداً[2].

٧- ما ورد في تفسير (آمين).

—تنبيه: هذه الكلمة ليست من القرآن الكريم. أكثر أهل العلم وهو الصحيح معناها: اللهم استجب لنا. وضعت موضع الدعاء اختصارا.

---

١ البغوي ١/٤٠ القرطبي ١/١٣٨، ١٣٩ ابن كثير ١/٢٤، ٢٥ الدر المنثور ١/٤٩

٢ المحرر الوجيز ١/٧

الدخيل: -

١-قيل هو اسم من أسماء الله روي عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف ورواه ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال ابن العربي: ولا يصح نقله ولا ثبت قوله[١]. قال العكبري: وقيل (آمين): اسم من أسماء الله تعالى، وتقديره: ياآمين، وهذا خطأ لوجهين: أحدهما أن أسماء الله لا تعرف إلا تَلقياً ولم يرد بذلك سمع.

والثانى أنه لو كان كذلك لبُنِى على الضم؛ لأنه منادى معرفة أو مقصود[٢].

٢-قال وهب بن منبه: آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر من قال آمين. [٣]. وهذا لا يقال إلا عن طريق المعصوم. ولا دليل عليه.

٨- قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)قال الآلوسي: (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتاب) أي التوراة... هذا ومن الناس من جعل هذا الخطاب للمؤمنين، وحمل الكتاب على القرآن، فيكون ذلك من تلوين الخطاب كما في(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واستغفرى) يوسف: ٩ ٢] والظاهر يبعده[٤].

---

١أحكام القرآن لابن العربي ١/٦ القرطبي ١/١٢٨

٢ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ١/٩ الناشر مكتبة الإيمان

٣ القرطبي ١/١٢٧

٤ روح المعاني ١/٢٤٨

٩- عن مجاهد في قوله: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (البقرة: ٦٥). قال: لم يمسخوا، إنما هو مثل ضربه الله لهم، مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً. قال ابن جرير: وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف. وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت،.. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه. وكفى دليلا على فساد قول، إجماعها على تخطئته. قال ابن عطية والأول-المسخ على حقيقته- أولى: قال القرطبي: ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. ورده ابن الجوزي بقوله: وهو قول بعيد. ورده ابن كثير قائلاً: وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره، قال الله تعالى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ" المائدة: ٦٠[١].

١٠- تفسير (روح القدس) أَخْرَجَ اِبْن أَبِي حَاتِم عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: رُوح الْقُدُس الِاسْم الَّذِي كَانَ عِيسَى يُحْيِي بِهِ الْمَوْتَى، وَإِسْنَاده ضَعِيف. وقال ابن زيد هو الإنجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحاً،

---

١ الطبري ٢/ ١٧٢، ١٧٣ ابن عطية ١٦١/١ زاد المسير ٩٥/١ القرطبي ٤٤٣/١ ابن كثير ٢٨٩/١

وهذان القولان يخالفان ما صح سنده عن السلف رُوح الْقُدُس جِبْرِيل أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادٍ رِجَاله ثِقَات عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود، وَرَوَى الطَّبَرِيُّ عن قتادة ومُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ والربيع: رُوح الْقُدُس جِبْرِيل، وَكَذَا جَزَمَ بِهِ أَبُو عُبَيْدَة وَغَيْر وَاحِد. والدليل على صحة ذلك قوله تعالى(نزلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) الشعراء. فإن المراد به جبريل اتفاقاً[١].

١١- "وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" البقرة: ٩٣.

الأصيل: أشربوا حبه، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم. عن قتادة والربيع وأبي العالية. ورجحه الطبرى قائلاً: لأن الماء لا يقال منه: أشرب فلان في قلبه، وإنما يقال ذلك في حب الشيء، فيقال منه: "أشرب قلب فلان حب كذا"، بمعنى سقي ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه... ولكنه ترك ذكر "الحب" اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام. إذ كان معلوماً أن العجل لا يُشرِب القلب، وأن الذي يشرب القلب منه حبه، كما قال جل ثناؤه: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) سورة الأعراف: ١٦٣، (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) يوسف: ٨٢. وفي لسان العرب: وَأُشْرِبَ قَلْبُهُ مَحَبَّةَ هَذَا أَيْ حَلَّ مَحَلَّ الشَّرَابِ. وَفِي التنزيلِ الْعَزِيزِ "وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أَيْ حُبَّ الْعِجْلِ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مُقَامَهُ، وَلَا يَجُوزَ أَنْ يَكُونَ الْعِجْلُ هُوَ الْمُشْرَبَ: لِأَنَّ الْعِجْلَ لَايَشْرَبُهُ

---

١ الطبري ٢/٣٢٠- ٣٢٢ ابن عطية ١/١٧٦ ابن كثير ١/٣٢١ البغوى ١/١١٩ فتح الباري ٨/٣٣١ بتصرف

الْقَلْبُ، وَقَدْ أُشْرِبَ فِي قَلْبِهِ حُبُّهُ أَيْ خَالَطَهُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ: قَالَ: مَعْنَاهُ سُقُوا حُبَّ الْعِجْلِ، فَحُذِفَ حُبُّ، وَأُقِيمَ الْعِجْلُ مُقَامَهُ

الدخيل قيل معنى ذلك أنهم سُقوا الماء الذي ذري فيه سحالة العجل- ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا سحلا، أي بردا بالمبرد -. قال ابن جزي: عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم فهو مجاز تشبيهاً بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الثوب وفي الكلام محذوف أي أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربوه فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله في قلوبهم! [1]، تحديد معنى الكلمات ١٢- في قوله تعالى(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤). قيل في تفسير الكلمات ثلاثة عشر قولا منها ما قاله ابن عباس: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتمه، فكتب الله له البراءة فقال: " وإبراهيم الذي وفى "، فذكر عشرا في" براءة "١١٢ فقال: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ) إلى آخر الآية، وعشراً في" الأحزاب ": ٣٥ (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)، وعشرا في" سورة المؤمنون ": ١-٩، إلى قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ

---

١ التسهيل لابن جزى ٥٣/١

عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)، وعشرا في" سأل سائل "[٢٢-٣٤](وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ).

وقيل: ابتلاه الله تعالى بسبعة أشياء: بالكوكب، والقمرين، والختان على الكبر، والنار، وذبح الولد، والهجرة إلى الشام، وقيل: هي ما تضمنته الآيات بعد مسن الإمامة، وتطهير البيت، ورفع قواعده، والإسلام، وقيل، وقيل... وما أحسن قول شيخ المفسرين الطبري في ذلك المقام وإنه لجدير أن يكون قاعدة لمثل هذا المقام قال رحمه الله: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن فأتمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل. وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل" الكلمات "، وجائز أن تكون بعضه؛ لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها: من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من الحجة. ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته. غير أنه روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في نظير معنى ذلك خبران، لو ثبتا، أو أحدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب. وقد رجح ابن كثير ما

ذهب إليه الطبري وذهب أبو حيان إلى أن كل قائل ذكر مثالا مما ابتلي به عليه السلام فقال: وهذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إبراهيم، إذ كلها ابتلاه بها، ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد، ولا على التعيين، لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض. قال القفال رحمه الله: وجملة القول أن الابتلاء يتناول إلزام كل ما في فعله كلفة شدة ومشقة، فاللفظ يتناول مجموع هذه الأشياء ويتناول كل واحد منها، فلو ثبتت الرواية في الكل وجب القول بالكل، ولو ثبتت الرواية في البعض دون البعض فحينئذ يقع التعارض بين هذه الروايات، فوجب التوقف والله أعلم[١].

١٣- * قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)البقرة: ١٤٣)" الوسط "العدلُ. وذلك معنى الخيار، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم. قال الالوسي: ومعنى: (وَسَطًا) خياراً أو عدولاً وهو في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكونها أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين الإسراف، والبخل والشجاعة بين الجبن والتهور، والحكمة بين الجربزة والبلادة، ثم أطلق على المتصف بها إطلاق الحال على المحل واستوى فيه الواحد وغيره لأنه بحسب الأصل جامد لا تعتبر مطابقته، وقد يراعى فيه

١ الطبري٢/٨-١٥ البيضاوي١/٣٩٥، ٣٩٦ القرطبي ٢/٩٦، ٩٧

ذلك وليس هذا الإطلاق مطرداً كما يظن من قولهم: خير الأمور الوسط. قال أبو حيان: ومعنى وسطاً: عدولاً، روي ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين. وإذا صح ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وجب المصير في تفسير الوسط إليه. وكذا قال الشوكاني: وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تفسير الوسط هنا بالعدل، فوجب الرجوع إلى ذلك، وفصل ذلك الفخر الرازي فقال: واختلفوا في تفسير الوسط وذكروا أموراً. أحدها: أن الوسط هو العدل والدليل عليه الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى، أما الآية فقوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) القلم: ٢٨ أي أعدلهم، وأما الخبر فما روى القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: " أمة وسطاً قال عدلاً "، وقيل: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أوسط قريش نسباً، وأما الشعر فقول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم... إذا نزلت إحدى الليالي العظائم

وأما النقل فقال الجوهري في «الصحاح»: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي عدلاً وهو الذي قاله الأخفش والخليل وقطرب، وأما المعنى فمن وجوه. أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين فكان معتدلاً فاضلاً. وثانيها: إنما سمي العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين. وثالثها: لا

شك أن المراد بقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) طريقة المدح لهم لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفاً ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح فثبت أن المراد بقوله: (وسطاً) ما يتعلق بالمدح في باب الدين وبعد فعلى المفسر أن يبين أن الوسط هنا هو العدل وليس بمعنى التوسط ومن عدلهم أن يتخذون التوسط إن كان فيه الخير[١].

١٤- * تفسير قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)١٨٥: البقرة.

الأصيل هو الشهر المعروف وهو الظاهر بلا شك.

الدخيل في تفسير(شهر رمضان) رمضان اسم من أسماء الله[٢]. ولعل قائل هذا القول استند إلى ما أخرجه أبو حاتم، وأبو الشيخ، وابن عديّ، والبيهقي في سننه، عن أبي هريرة مرفوعاً، وموقوفاً: « لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا شهر رمضان » قال الألوسي: وإلى ذلك ذهب مجاهد والصحيح الجواز فقد روى ذلك في الصحيح والاحتياط لا يخفى.

ولكن هذا مخالف لما صح من الروايات. قد ثبت، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم

---

١ البحر ٥٩٥/١ الشوكاني ١٥٠/١ الألوسي ٤/٢ المسند رقم: ١١٠٨٤

٢ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٩٨/١ الشوكاني ١٨٣/١ روح المعاني ٦١/٢

من ذنبه » وثبت عنه أنه قال: « من قام رمضان إيماناً، واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه » وثبت عنه أنه قال: " شهرا عيد لا ينقصان: رمضان، وذو الحجة "وقال: " إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة "وهذا كله في الصحيح. وثبت، عنه في أحاديث كثيرة غير هذه أنه كان يقول: " رمضان "بدون ذكر الشهر. وإذا كان يفهم من قول الألو سي: والاحتياط لا يخفى. أي الاحتياط في قول رمضان فنقول بل الاحتياط في تسمية الله باسم لم يرد في الصحيح أولى، وأسماء الله تعالى لا بد من دليل صحيح يعتمد عليه[1].

١٥-* قوله تعالى" وَلَوْلاَ دَفْعُ الله الناس بَعْضَهُم "وهم أهل الشرور في الدنيا أو في الدين أو في مجموعهما" بِبَعْضٍ "أي بتسليط بعضهم على بعض آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية أو غيره، " لَفَسَدَتِ الأرض "وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يصلح الأرض ويعمرها، وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أولو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض قاطبة، وهذه الآية كقوله تعالى" كما قال تعالى: "وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً" الحج: ٤٠ وقال ابن جرير: ومنه كفه تعالى ببعضهم التظالم. كالسلطان الذي كف به

---

١ ابن عطية ١/٢٥٤ الألوسي ٢/٦١

رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه تعالى لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق. ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض. لولا ذلك لتظالموا. فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم، وما سمى جل ثناؤه. وهو ما رجحناه في تفسير آية البقرة ولا فرق بينهما فسياقها بعد قصة داود وطالوت وقتالهما لطالوت وجنوده يدل على ذلك وهو من المرجاحات القوية[١].

الدخيل: حمل الآية على غير معنى الجهاد والقتال في سبيل الله فقيل وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى ذكره أهلَ النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتخلِّفين عن مَشاهده والجهادِ معه للشكّ الذي في نفوسهم ومرض قلوبهم، والمشركين وأهلِ الكفر منهم، وأنه إنما يدفع عنهم معاجَلَتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمان المؤمنين به وبرسوله، الذين هم أهل البصائر والجدّ في أمر الله، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعدَه على جهاد أعدائه وأعداء رسوله، من النصر في العاجل، والفوز بجنانه في الآجل وذكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » ثم قرأ ابن عمر: "وَلَوْلاَ دَفْعُ الله الناس" الآية. ففي إسناده يحيى بن سعيد العطار الحمصي، وهو ضعيف جداً.. مع أنه قال بعد ذلك...

---

١ أبو السعود ٢٤٥/١ نظم الدرر ٤٨٠/١، ١٥٧/٥ الألوسي ١٧٣/٢، ٢٧٤

ولا شك أن جالوت وجنوده كانوا بقتالهم طالوت وجنوده محاولين مغالبة حزب الله وجنده، وكان في محاولتهم ذلك محاولةُ مغالبة الله ودفاعه عما قد تضمن لهم من النُّصرة. وذلك هو معنى "مدافعة الله" عن الذين دافع الله عنهم بمن قاتل جالوت وجنوده من أوليائه. قال ابن عطية: قال مكي: وأكثر المفسرين على أن المعنى لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لأهلك الناس بذنوبهم.

قال ابن عطية: وليس هذا معنى الآية ولا هي منه في ورد ولا صدر، والحديث الذي رواه ابن عمر صحيح، وما ذكر مكي من احتجاج ابن عمر عليه بالآية لا يصح عندي؛ لأن ابن عمر من الفصحاء،

وذكر رحمه الله قولاً رده لفساده فقال في سورة الحج وقالت فرقة: لولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء ونحوه وهذا وما شاكله مفسد لمعنى الآية وذلك أن الآية تقتضي ولا بد مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتأمله. وواختلف قول القرطبي في تفسير سورة البقرة وذكر عدة أقوال كالتي ذكرناها فمرة مال لقول مكي وذكر حديث الأبدال ومرة ذكر ما رجحه ابن عطية ولكنه في آخر الكلام قال: وقيل: هذا الدفع بما شرع على ألسنة الرسل من الشرائع ولولا ذلك لتسالب الناس وتناهبوا وهلكوا وهذا قول حسن فإنه عموم في الكف والدفع وغير ذلك فتأمله، أما في سورة الحج فوضح الكلام ورجح الراجح فقال أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات

ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة فالجهاد أمر متقدم في الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات.. ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله: ولولا دفع الله الناس الآية أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة.. [١].

*-قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)البقرة: ٢٨٢ بعضهم يجعل الواو(وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) للعطف ولو جاز ذلك لجزم (يعلمكم) والصواب كما قال المفسرون أنها للاستئناف. فقد قال ابن هشام واو (ويعلمكم الله) للاستئناف لا للعطف؛ للزوم عطف الخبر على الأمر. قال السمين الحلبي: قوله: (وَيُعَلِّمُكُمُ الله) يجوزُ في هذهِ الجملةِ الاستئنافُ – وهو الظاهرُ – ويجوزُ أَنْ تكونَ حالاً من الفاعلِ في «اتَّقوا» قال أبو البقاء: «تقديره: واتقوا اللهَ مضموناً لكم التعليمُ أَو الهدايةُ، ويجوزُ أن تكونَ حالاً مقدَّرَة". قلت: وفي هذينِ الوجهينِ نظرٌ لأنَّ المضارعَ المثبتَ لا تباشِرُه واوُ الحال، فإنْ وَرَدَ ما ظاهرُه ذَلك يُؤَوَّلُ، لكنْ لا ضرورةَ تَدْعو إليه ههنا. وفي الطبري عن الضحاك —في سنده جويبر (صعبف)– قوله: " ويعلمكم الله "، قال: هذا تعليم علَّمكموه فخذُوا به.

قال الرازى: وَاتَّقُوا اللَّهَ يَعْنِي فِيمَا حَذَّرَ مِنْهُ هاهنا، وَهُوَ الْمُضَارَّةُ، أَوْ يَكُونُ عَامًّا، وَالْمَعْنَى اتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ. ثُمَّ قَالَ: وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ

---

١ المحرر الوجيز ١٣٨/١، ١٢٥/٤ القرطبي ٢٥٩/٣-٢٦١، ٧٠/١٢

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُعَلِّمُكُمْ مَا يَكُونُ إِرْشَادًا وَاحْتِيَاطًا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، كَمَا يُعَلِّمُكُمْ مَا يَكُونُ إِرْشَادًا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى عالماً بجميع مصالح الدنيا والآخرة. قال المراغى: أي واتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو سبحانه يعلمكم ما فيه صلاح حالكم في الدارين وحفظ أموالكم، ولولا هديه لكم لم تعلموا شيئا، وهو العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئا من الأحكام فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن اتبع شرعه وهداه.

ومع ذلك فكأن ابن كثير أخذ من الآية أنها تحض على التقوي كى يعلمكم الله قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: (وَاتَّقُوا اللَّهَ)أَيْ: خَافُوهُ وَرَاقِبُوهُ، وَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَاتْرُكُوا زَجْرَهُ (وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ) كَقَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) [الْأَنْفَالِ: ٢٩]، وَكَقَوْلِهِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الْحَدِيدِ: ٢٨].
وبين العلامة ابن عاشور أن هناك ما إسماء إلى نحو ذلك فقال: أَمَرَ بِالتَّقْوَى لِأَنَّهَا مِلَاكُ الْخَيْرِ، وَبِهَا يَكُونُ تَرْكُ الْفُسُوقِ. وَقَوْلُهُ: وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ تَذْكِيرٌ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْجَهَالَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِالشَّرِيعَةِ، وَنِظَامِ الْعَالَمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْعُلُومِ وَأَنْفَعُهَا، وَوَعْدٌ بِدَوَامِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ جِيءَ فِيهِ بِالْمُضَارِعِ، وَفِي عَطْفِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ التَّقْوَى سَبَبُ إِفَاضَةِ الْعُلُومِ[1].

---

١ مغني اللبيب ٢٢/٢ تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٧٢٧(

١٦*- الدخيل في تفسير قوله تعالى" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ "آل عمران: ٤٠"

تساءل الإمام ابن جرير تساؤلاً غريباً فقد قال فإن قال قائل: وكيف قال زكريا وهو نبيّ الله: "ربّ أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر"، وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله إياها به؟ أشكّ في صدقهم؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصفَ به أهل الإيمان بالله! فكيف الأنبياء والمرسلون؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرة ربه؟ فذلك أعظم في البلية!

وأجاب بما نقله عن السدى أن زكريا عليه السلام جاءه الشيطان عند سماع البشارة فقال: إن هذا الصوت من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه الأمر عليه فقال: رب أنى يكون لي ولد وكان مقصوده من ذلك أن يريه الله تعالى آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي لا من الشيطان.

وما رواه عن عكرمة: أتاه الشيطان فأراد أن يكدر عليه نعمه ربه فقال: هل تدري من ناداك قال: نعم ناداني ملائكة ربي قال: بل ذلك الشيطان ولو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك فقال: رب أنى يكون لي الخ وهذا لا يليق بسيدنا زكريا لذا اعترضه المحققون-كما قال الألوسي-

---

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/ ٦٧٧) الرازي (٧/ ٩٩)تفسير المراغي (٣/ ٧٧)الطبري(٦/ ٩٣)

وذلك لأنه لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء عليهم السلام إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع وأجيب بأنه يمكن أن يقال: إنه لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين فلا جرم يحصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله تعالى بواسطة الملك ولا يدخل الشيطان فيه وأما فيما يتعلق بمصالح الدنيا والولد أشبه شئ بها فربما لم يتأكد ذلك بالمعجز فلا جرم بقي احتمال كون ذلك الكلام من الشيطان ولهذا رجع إلى الله تعالى في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال... وبالجملة القول باشتباه الأمر على زكريا عليه السلام في غاية البعد لا سيما وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه قال: إن الملائكة شافهته عليه السلام بذلك مشافهة فبشرته بيحيى. قلت ولو لم يخرج ابن جرير هذا القول عن قتادة فعندنا من النصوص ما يزيدنا تنزيها لسيدنا زكريا وجميع الأنبياء عن مثل تلك الأقوال المردودة عقلاً ونقلاً.

وقد أجاب ابن جرير إجابة طيبة عن هذا التساؤل الذي نقلناه عنه آنفاً فقال: وقد يجوز أن يكون قيله ذلك، مسألةً منه ربَّه: من أيّ وجه يكون الولدُ الذي بُشر به؟ أمن زوجته؟ فهي عاقر - أم من غيرها من النساء؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والسدي ومن قال مثلَ قولهما[1].

---

1 جامع البيان ٣٨٣/٦ الدر المنثور ٩١/٢ روح المعاني ١٤٨/٣ ١٤٩

١٧- * قوله تعالى "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ"

*- الأصيل "اجْعَلْ لِي" أي علامة تدلني على الحمل وسألها استعجالا للسرور قاله الحسن وقيل: ليتلقى تلك النعمة بالشكر حين حصولها ولا يؤخر حتى تظهر ظهورا معتادا ولعل هذا هو الأنسب بحال أمثاله عليه السلام "قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا" أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير آفة وهو الأنسب بكونه آية والأوفق لما في سورة مريم.

الدخيل: قول السدى: إنه سأل الآية ليتحقق أن تلك البشارة منه تعالى لا من الشيطان.

ومن الدخيل كذلك أن حبس لسانه كان عقوبة له عليه السلام أخرج عبد الرزاق وغيره عن قتادة أن حبس لسانه عليه السلام كان من باب العقوبة حيث طلب الآية بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة ولعل الجناية حينئذ من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين ومع هذا حسن الظن يميل إلى الأول ومذهب قتادة لا آمن على الأقدام الضعيفة قتادة

وفي تفسير المنار وَمِنْ سَخَافَاتِ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ الَّتِي أَوْمَأْنَا إِلَيْهَا آنِفًا زَعْمُهُمْ أَنَّ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وَحَيُّ الْمَلَائِكَةِ وَنِدَاؤُهُمْ بِوَحْيِ الشَّيَاطِينِ ; وَلِذَلِكَ سَأَلَ سُؤَالَ التَّعَجُّبِ، ثُمَّ طَلَبَ آيَةً لِلتَّثَبُّتِ، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ السُّدِّيِّ وَعِكْرِمَةَ: أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي شَكَّكَهُ فِي نِدَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَلَوْلَا الْجُنُونُ بِالرِّوَايَاتِ مَهْمَا هَزُلَتْ وَسَمُجَتْ لَمَا

كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَكْتُبَ مِثْلَ هَذَا الْهُزْءِ وَالسُّخْفِ الَّذِي يَنْبِذُهُ الْعَقْلُ وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ يَرْوِي مِثْلَ هَذَا إِلَّا هَذَا لَكَفَى فِي جَرْحِهِ،

وَأَنْ يُضْرَبَ بِرِوَايَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَعَفَا اللهُ عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ إِذْ جَعَلَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ مِمَّا يُنْشَرُ.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ رِوَايَاتٌ سَقِيمَةٌ فِيهِ، مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عُقُوبَةٌ عَاقَبَهُ اللهُ – تَعَالَى – بِهَا أَنْ طَلَبَ الْآيَةَ بَعْدَ تَبْشِيرِ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْهَا أَنَّ لِسَانَهُ رَبَا فِي فِيهِ حَتَّى مَلَأَهُ، وَمِثْلُ هَذَا السَّخَفِ لَا يَجُوزُ ذِكْرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ رَدِّهِ عَلَى قَائِلِهِ وَضَرْبِ وَجْهِهِ بِهِ. [1].

*– "قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ" أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير آفة وهو الأنسب بكونه آية والأوفق لما في سورة مريم،

الدخيل: قال أبو مسلم بأن عدم التكليم اختياري، والمعنى– آيتك أن تصير مأمورا بعدم التكلم إلا بالذكر والتسبيح– ولا يخفى بعده هنا، وعليه وعلى القولين قبله يحتمل أن يراد من عدم التكليم ظاهره فقط وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون كناية عن الصيام لأنهم كانوا إذ ذاك إذا صاموا لم يكلموا أحدا– وإلى ذلك ذهب عطاء– وهو خلاف الظاهر، ومع هذا يتوقف قبوله على توقيف،

---

١ روح المعاني٣/١٥٠، ١٥١ تفسير المنار (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦

١٨-* قوله تعالى "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" اختلف في هذه الحياة: المشهور والراجح أنها حقيقة بالروح والجسد ولكنا لا ندركها في هذه النشأة، فقد ذهب كثير من السلف ونسب إلى ابن عباس، وقتادة ومجاهد والحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والجبائي والرماني، وجماعة من المفسرين واستدلوا بسياق قوله تعالى: "عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" آل عمران: ١٩٦ وبأن الحياة الروحانية التي ليست بالجسد ليست من خواصهم فلا يكون لهم امتياز بذلك على من عداهم، لكنهم اختلفوا في المراد بالجسد[١].

وذهب البعض إلى أنها روحانية وكونهم يرزقون لا ينافي ذلك فقد روي عن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، فوصول هذا الروح إلى الروح هو الرزق، والامتياز ليس بمجرد الحياة بل مع ما ينضم إليها من اختصاصهم بمزيد القرب من الله عز شأنه ومزيد البهجة والكرامة،

الدخيل: ذهب البلخي إلى نفي الحياة بالفعل عنهم مطلقاً وأخرج الجملة الإسمية الدالة على الاستمرار المستوعب للأزمنة من وقت القتل إلا ما لا

١ فقيل: هو هذا الجسد الذي هدمت بنيته بالقتل.

وقيل: جسد آخر على صورة الطير تتعلق الروح فيه،

وقيل: جسد آخر على صور أبدانهم في الدنيا بحيث لو رأى الرائي أحدهم لقال: رأيت فلاناً وإلى ذلك ذهب بعض الإمامية " الألوسي٢/٦٥ "

آخر له عن ظاهرها وقال: معنى "بَلْ أَحْيَاء" إنهم يحيون يوم القيامة فيجزون أحسن الجزاء، وذهب بعضهم إلى إثبات الحياة الحكمية لهم بما نالوا من الذكر الجميل والثناء الجليل، وحكى عن الأصم أن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى أي لا تقولوا هم أموات في الدين ضالون عن الصراط المستقيم بل هم أحياء بالطاعة قائمون بأعبائها، ولا يخفى أن هذه الأقوال في غاية الضعف بل نهاية البطلان... [1].

١٩- * قوله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) ٥: النساء. اختلف العلماء في هؤلاء السفهاء،

الأصيل: عن سعيد بن جبير قال: هم اليتامى لا تؤتوهم أموالكم.

قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في الآية.

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قال: هم الأولاد الصغار، لا تعطوهم أموالكم فيفسدوها وتبقوا بلا شئ. وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: السفهاء هنا كل من يستحق الحجر.

الدخيل:

عن مجاهد قال: هم النساء. قال النحاس وغيره: وهذا القول لا يصح؛ إنما تقول العرب في النساء سفائه أو سفيهات؛ لأنه الأكثر في جمع فَعيلة وقال الطبري: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه عم

---

١ الألوسي٢/٦٥، ٦٦

بقوله(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)، فلم يخصص سفيهًا دون سفيه. فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهًا ماله، صبيًا صغيرًا كان أو رجلاً كبيرًا، ذكرًا كان أو أنثى. و "السفيه" الذي لا يجوز لوليه أن يؤتِّيه ماله، هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه مالَه وفسادِه وإفسادِه وسوءِ تدبيره ذلك. وإنما قلنا ما قلنا، من أن المعنيَّ بقوله: "ولا تؤتوا السفهاء" هو من وصفنا دون غيره، لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها: "وابْتَلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم"، فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد، وقد يدخل في "اليتامى" الذكور والإناث، فلم يخصص بالأمر بدفع ما لَهُم من الأموال، الذكورَ دون الإناث، ولا الإناث دون الذكور. وإذْ كان ذلك كذلك، فمعلومٌ أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم، إليهم، وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم، غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم، وحُظِر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم. فإذْ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن "السفهاء" الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم، هم المستحقون الحجرَ والمستوجبون أن يُولى عليهم أموالهم، وهم من وصفنا صفتهم قبل، وأن من عدا ذلك فغير سفيه، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأُونس رشده. وأما قول من قال: "عنى بالسفهاء النساء خاصة"، فإنه جعل اللغة على غير وجهها. وذلك أن العرب لا تكاد تجمع "فعيلا" على "فُعَلاء" إلا في جمع الذكور، أو الذكور والإناث. وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم، جمعوه على:

"فعائل" و"فعيلات"، مثل: "غريبة"، تجمع "غرائب" و"غريبات"، فأما "الغُرَباء"، فجمع "غريب". وقد قال أبو حيان: ونقلوا أنّ العرب جمعت سفيهة على سفهاء، فهذا اللفظ قد قالته العرب للمؤنث، فلا يضعف قول مجاهد.

وقلت ولكنه غير مشهور في اللغة كما قال الطبري ثم إنه تخصيص لفئة من غير دليل وهو مخالف لقول الجمهور [1].

٢٠- * قوله تعالى (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا)النساء: ١٦٠. وقوله سبحانه: (وعلى الذين هادوا حرمنا) الآيتين

الدخيل وعن الضحاك أنه لم يحرم الله تعالى عليهم شيئا من ذلك في التوراة ولا بعدها وإنما هو شيء حرموه على أنفسهم إتباعا لأبيهم وإضافة تحريمه إلى الله تعالى مجاز قال الآلوسي: وهذا في غاية البعد [2]

٢١-* قوله تعالى "وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنّ فَعِظُوهُنّ وَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنّ سَبِيلاً إِنّ اللّهَ كَانَ عَلِيّا كَبِيراً" النساء: ٣٤ الأصيل "وَاللاّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنّ" أي: عصيانهن وسوء عشرتهن وترفعهن عن مطاوعتكم، والمراد اتركوهن منفردات في مضاجعهن

---

١ الطبري ٢٤٧/٤، ٢٤٨ ابن عطية ٩/٢ القرطبي ٢٨/٥ البحر ١٧٧/٣

٢ روح المعاني ٣/٤

فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون الكلام كناية عن ترك جماعهن

الدخيل ما رجحه الطبري بقوله: فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: "واهجروهن"، موجَّهًا معناه إلى معنى الرّبط بالهجار، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا: "هَجَره فهو يهجره هجْرًا". وهذا التفسير من الدخيل وقد تعقبه جمع من أهل التفسير فقد قال ابن عطية:... ورجح الطبري منزعه هذا وقدح في سائر الأقوال وفي كلامه في هذا الموضع نظر. وقد رد عليه القاضي أبو بكر بن العربي في أحكامه فقال: يا لها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة قال الآلوسي: وزعم بعضهم أن المعنى أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير إذا شده بالهجار وتعقبه الزمخشري بأنه من تفسير الثقلاء[1].

٢٢- * قوله تعالى(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)سورة المائدة.

الأصيل: أجمع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل، على أنهما كانا ابني آدم لصلبه

---

١ الطبري ٣٠٩/٨ الكشاف ٥٣٩/١ المحرر الوجيز ٤٨/٢ القرطبي ١٧٢/٥ روح المعاني ٢٥/٥

الدخيل: عن الحسن قال: كان الرجلان اللذان في القرآن، اللذان قال الله: "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق"، من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وإنما كان القُربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات. الرد أولا السند فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف ثانيا رد ذلك العلماء فقال القاضي أبو محمد اين عطية: وهذا وهم وكيف يجهل صورة الدفن أحد من بني إسرائيل حتى يقتدي بالغراب والصحيح قول الجمهور. وقال أبو حيان: قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عنه: إنه أول من سن القتل، وقد كان القتل في بني إسرائيل وقال الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه، لا من ذرّيته من بني إسرائيل. وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عبادَه بما لا يفيدهم به فائدة، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريبَ القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم، دون الملائكة والشياطين وسائرِ الخلق غيرهم. فإذْ كان معلومًا ذلك عندهم، فمعقول أنه لو لم يكن معنيًّا بِ "ابني آدم" اللذين ذكرهما الله في كتابه، ابناهُ لصلبه، لم يفدْهم بذكره جل جلاله إياهما فائدة لم تكن عندهم. وإذْ كان غيرَ جائز أن يخاطبهم خطابًا لا يفيدهم به معنًى، فمعلوم أنه عَنى بـ "ابني آدم"، ابني آدم لصلبه، لا بَنِي بنيه الذين بَعُد منه نسبهم، مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل، على أنهما كانا ابني

آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه، وكفى بذلك شاهداً قال الألوسي: ويد الله تعالى مع الجماعة [1].

٢٣-* قوله تعالى "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)" المائدة.

*- حول نزول المائدة

*- الأصيل: ذهب الجمهور إلى القول بنزولها وهذا هو الحق والصواب؛ لأن الله لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخلف وقد قال تعالى "إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ" وغير جائز أن يقول الله إني منزلها عليكم ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. بل الذي يفهم من السياق أنها نزلت كثيراً "إِنِّي مُنزِلُهَا" فورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل الدالة على التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال "أنزل" لإظهار كمال اللطف والإحسان وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق "إن" وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وإيذان بأنه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه وإشعار بالاستمرار أي إني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة. وقد علق ابن كثير علي القول بنزولها: وهذا القول هو - والله أعلم

---

١ الطبري١٠/١٠٨، ١٠٩ ابن عطية ٢/١٧٨ البحر ٣/٤٧٥ الشوكاني ٢/٣٠ الألوسي ٦/١١١

– الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم. وقال الألوسي: والجمهور على الأول وعليه المعول[1].

الدخيل: القول بعدم نزولها

وهو قول الحسن ومجاهد روى ابن جرير – بسنده – عن قتادة قال: كان الحسن يقول: لما قيل لهم: "فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ" قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم تنزل. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء. أي: مثل ضربه الله للناس نهيا لهم عن مسألة الآيات لأنبيائه. قال الحافظ ابن كثير: وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن. وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى. وليس هو في كتابهم. ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله. وكان يكون موجوداً في كتبهم متواتراً، ولا أقل من الآحاد والله أعلم.

وهذا الاحتمال لا يقوي للاستدلال على عدم نزولها فهو احتمال ممكن رده بيسر فنزولها ليس معجزة كونية أو آية عامة بل لفرقة من فرق بني إسرائيل فلا فليس ذلك مما تتوافر الدواعي على نقله، وعدم تواتر سؤالها في كتب النصارى أو عدم وجوده فيها لا يستغرب. وقد انفرد القرآن بها، ولا يلزم أن يكون كل ما قصه الله – تعالى – في القرآن أن يكون في الكتب المتقدمة، بل قصة السؤال لم ترد عند النصارى. فهل نرد القول بأن الحواريين سألوا

---

١ فتح القدير ٩٢/٢ روح المعاني ٦٢/٧ ابن كثير ٣/ ٢٢٧-٢٣٠

عيسى عليه السلام نزول المائدة؟!. يقول الشهيد سيد قطب: وقصة المائدة - كما أوردها القرآن الكريم - لم ترد في كتب النصارى. ولم تذكر في هذه الأناجيل التي كتبت متأخرة بعد عيسى - عليه السلام - بفترة طويلة، لا يؤمن معها على الحقيقة التي تنزلت من عند الله. ثم ذكر قصة من إنجيل متى على أنها تشبه قصة المائدة ثم ذكر رأي الحسن ومجاهد ثم قال ونعم ما قال: ولكن أكثر آراء السلف على أنها نزلت؛ لأن الله تعالى قال: "إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ" ووعد الله حق. وما أورده القرآن الكريم عن المائدة هو الذي نعتمده في أمرها دون سواه.. [1]

*-تكملة ومن الدخيل تحديد ما كان على المائدة من أصناف الطعام، وعن كيفية نزولها ومكانه، وعن كيفية استقبالها وكشف غطائها، والأكل منها والباقي عليها بعد الأكل. وهذا منقول بأسانيد ضعيفة لا تتقوى على تفسير القرآن المجيد، كما أنها لا تخلو عن غرابة ونكارة -كما قال ابن كثير: هذا أثر غريب جدا قطعه ابن حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم. ويقول ابن جرير: وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول. وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمرًا من ثمر الجنة، وغيرُ نافع العلم به، ولا ضارّ الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل[2].

---

١ الظلال ٩٩٩/٢

٢ ابن جرير ٢٣٢/١١ روح المعاني ٥٩/٧ ابن كثير ٢٣٠/٣، ٢٣١

٢٤-* قوله تعالى "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنزِلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" لمائدة: (١١٢)

الأصيل: قرأ الجمهورُ "يَسْتَطيع" بياء الغيبة "رَبُّكَ" مرفوعاً بالفاعلية، وقرأ الكسائي: "تَسْتَطيع" بتاء الخطاب لعيسى، و"ربَّك" بالنصب على التعظيم، ولكل قراءة وجهة في بيان المعنى كما سيأتي.

الدخيل من وجهين

الأول من أنكر القراءة

الثاني من زعم زيادة الفعل "يَسْتَطيع" وكلاهما مرفوض وتفسير الآية سهل لمن تدبر مفيد لمن تأمل وهذا ما قام به أولوا الألباب من المفسرين.

"هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" قال أكثر المفسرين: الاستفهام على قراءة الياء مجاز. إذا لا يسوغ لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكّوا في قدرة الله تعالى.

قيل: إن معنى "هَلْ يَسْتَطِيعُ" هل يفعل كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم مبالغة في التقاضي. والتعبير عن الفعل بالاستطاعة من التعبير عن المسبب بسببه إذ هي من أسباب الإيجاد.

وقيل: إن المعنى هل يطيع ربك ف "يَسْتَطِيعُ" بمعنى "يطيع" والسين زائدة. كاستجاب وأجاب. فيطيع بمعنى يجيب مجاز.

وقيل: هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة فكأنهم قالوا: هل إرادة الله تعالى وحكمته تعلقت بذلك أولا؟ لأنه لا يقع شيء بدون

تعلقهما به. قال السمين الحلبي: وبهذه الأجوبةِ يُستغنى عن قولِ مَنْ قال: "إنَّ يستطيع زائدةٌ" والمعنى: هل يُنزل ربُّك، وقال أبو حيان:

وأبعد من قال هل ينزل ربك مائدة من السماء ويستطيع صلة ومن قال: الرب هنا جبريل لأنه كان يربي عيسى ويخصه بأنواع الإعانة[1].

٢٥- * قوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)٣٨: الأنعام.

والأصيل: "إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ" في كونها مخلوقة دالة على الصانع محتاجة إليه مرزوقة من جهته، كما أن رزقكم على الله. أحوالها محفوظة أرزاقها مقدرة وآجالها معلومة والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره. قال الطبري وغيره والمماثلة في أنها يهتبل بأعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها من بعض على ما روي في الأحاديث أي فإذا كان هذا يفعل بالبهائم فأنتم أحرى إذ أنتم مكلفون عقلاء. وقال مجاهد في قوله عز وجل: "إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ" قال أصناف لهن أسماء تعرف بها كما تعرفون. قال الشوكاني: والأولى أن تحمل المماثلة على كل ما يمكن وجود شبه فيه كائناً ما كان

قال سفيان بن عيينة: أي ما من صنف من الدواب والطير إلا في الناس شبه منه؛ فمنهم من يعدو كالأسد، ومنهم من يشره كالخنزير، ومنهم من

---

١ ابن جرير ٢٢٠/١١التسهيل١٩٣/١ الرازى ١٠٧/١٢، ١٠٨ البحر المحيط ٥٨/٤ أبو السعود ٩٧/٣ فتح القدير ٢/ ٩٣، ٩٢ روح المعاني ٥٩/٧ الدر المصون ٩٥/٦

يعوي كالكلب، ومنهم من يزهو كالطاووس؛ فهذا معنى المماثلة. واستحسن الخطابي هذا وقال: فإنك تعاشر البهائم والسباع فخذ حذرك.

الدخيل: أنهم مكلفون كما نحن مكلفون.

فقد قيل إنها مثلنا في المعرفة، وأنها تحشر وتنعم في الجنة، وتعوض من الآلام التي حلت بها في الدنيا وأن أهل الجنة يستأنسون بصورهم؛

هذا مما لا يصح ولا يجوز تفسير الآية به. قال الألوسي: ومما يستبعد من طريق العقل ما نقله الإمام الشعراني عن شيخه علي الخواص قدس سره أن البهائم مكلفون محتجاً بقوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)٣٨: الأنعام. ) مع قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)سورة فاطر. وبما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم إنه ليؤخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء وهذا وإن كان في الشاة لكن لا قائل بالفرق ونقل عنه القول بأن كل ما في الوجود من حيوان ونبات وجماد حي دراك.. وما قاله لا دليل عليه فلا يقبل حيث جمع بين آيتين كل واحدة تخالف سياق الأخرى[١].

٢٦-* قوله تعالى(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزلُ مِثْلَ مَا أَنزلَ اللَّهُ... ) الأنعام: ٩٣. قال البيضاوى (أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) كعبد الله بن سعد بن أبي

١ الطبري ١٨٧/٧ البغوي ٩٥/٢ أبو السعود ١٣١/٣ الثعالبي ٥١٨/١ الشوكاني ١١٣/٢.
١١٤ روح المعاني١٣٠/٩

سرح كَانَ يكْتب لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نزلت (وَلَقَد خلقنَا الْإِنْسَان من سلالة من طين) إِلَخ. قال المناوى: أخرجه الواحدي عَن الْكَلْبِيّ عَن أبي صَالح عَن بْن عَبَّاس، والطبري مُخْتَصرا من رِوَايَة أَسْبَاط عَن السّديّ فِي قَوْله تَعَالَى: (وَمن أظلم مِمَّن افترَى عَلَى الله كذبا) الْآيَة، قَالَ: نزلت فِي عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وَكَانَ يكْتب للنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِذا أَمْلَى عَلَيْهِ (سميعا عليما) كتب هُوَ (عليما حكيما)، وَإِذا قَالَ: (عليما حكيما) كتب (سميعا عليما) فشكك وَكفر، وَقَالَ: إِن مُحَمَّدًا يُوحَى إِلَيْهِ فقد أُوحِي إِلَيّ، وَإِن كَانَ الله ينزله فقد أنزلت مثل مَا أنزل، فلحق بالمشركين. وَرُوِيَ أَن هَذِه الْقِصَّة كَانَت لِابْنِ خطل. أخرج ابْن عدي فِي تَرْجَمَة أَصْرَم بن حَوْشَب أحد المتروكين، من حَدِيث عَلّي، قَالَ: كَانَ ابْن خطل يكْتب للنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِذا نزل (غَفُور رَحِيم) كتب (رَحِيم غَفُور) فَذكر الحَدِيث، وَفِيه (ثمَّ كفر وَلحق بِمَكَّة، فَقَالَ النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام: من قتل ابْن خطل فَلهُ الْجنَّة. أخرجه ابْن الْجَوْزِيّ فِي الموضوعات من هَذَا الْوَجْه وَنقل عَن ابْن معِين تَكْذِيب أَصْرَم. [١]

٢٧-* فِي تفسير قوله تعالى "وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا

---

١ الفتح السماوى للمناوي ٢/٦١٢-٦١٤

الَّذِيا أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ" الأنعام: ١٢٨ وقوله سبحانه وتعالى "فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) هود. استدل بعضهم بهذه الآيات على القول بفناء النار.

الأصيل: الأدلة الصريحة على بقاء النار وعذابها كثيرة منها قوله تعالى: " لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا "فاطر: ٣٦ وقوله جل جلاله: " وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ "الزخرف: ٧٧ وقوله سبحانه" أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي "العنكبوت: ٢٣

روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ" وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ "وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا" وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "

[1]فهذه الآيات والأحاديث صريحة في الدلالة على بطلان القول بفناء النار قال العلامة السفاريني فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء، [2] على أقوال كثيرة، زادت على الثلاثين-

١- الاستثناء للعصاة من الموحدين وإنهم يخرجون بعد مدة من النار، وعلى هذا يكون قوله" فَأَمَّا الذين شَقُواْ "عاما فى الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء من خالدين، وتكون" ما "بمعنى" من ".

وهو قول خالد بن مَعْدَان، والضحاك، وقتادة، وأبي سِنَان، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن، وقد ثبت بالأحاديث المتواترة أنه يخرج من النار أهل التوحيد، فكان ذلك مخصصاً لكل عموم. قال الصنعاني: عن القول بأن المراد بالاستثناء فناء أهل النار فإنه قول في الآية بلا دليل ولا قال به من السلف أحد ولا من الخلف وأنه ليس في يد شيخ الإسلام شيء لا من كتاب ولا من سنة ولا من صحابي كما قررناه فليس في يديه إلا دعوى بغير برهان... وعرفت أنه ما صفا قول قائل في الاستثناء في آية أهل النار عن كدر الإشكال وأن الأقوال فيه كلها أراء محضة إلا القول بأنه أريد به

---

١ البخاري ومعه الفتح ٣٦١/١١، ٣٦٢ ومسلم ومعه النووي ١٨٤/١٧

٢ شرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥

عصاة الموحدين فإنه قول قويم قد قاله بحر الأئمة وحبرها المدعو له بتعليم التأويل ابن عباس كما أسلفناه ودلت عليه أدلة أثرية وقرائن قرآنية فالقول به قويم[١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

٢- وذهب قوم إلى أنَّ المستثنى منه زمان، ثم اختلف القائلون بذلك، فمنهم من قال: ذلك الزمانُ هو مدةُ إقامتهم في البَرْزَخ أي: القبور. وقيل: هو المدة التي بين حشرِهم إلى دخولهم النار، وقال الزجاج: " هو مجموع الزمانين أي: مدةَ إقامتهم في القبور ومدة حشرهم إلى دخولهم النار "[٣].

٣- قال الألوسي: وذهب الزجاج إلى وجه لطيف قال: المراد والله تعالى أعلم إلا ما شاء الله من زيادة العذاب وبينه ابن المنير قائلاً: العذاب على درجات متفاوتة فكأن المراد أنهم مخلدون في جنس العذاب إلا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي إلى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها لأنواع العذاب في الشدة تعد خارجة عنه ليست من جنس العذاب والشيء إذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما عبروا عن كثرة

---

١ رفع الأستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني صـ١١١ تحقيق الألباني

٢ أبو السعود ٣/١٨٥، ٤/ ٢٤٢

٣ البحر المحيط٤/٢٢٤، ٥/٢٦٣، ٢٦٤ الدر المصون ٦/٤٢٥، ٤٢٦ القرطبي ٩/٩٩-١٠٢ الشوكاني ٢/١٦١ ٢/٥٢٥ رفع الأستار صـ ٩٥

الفعل برب وقد وهما موضوعان لضد الكثرة من القلة وذلك أمر يعتاد في لغة العرب.....

٤- أو إن الاستثناء في الموضعين مبني على الفرض والتقدير فمعنى إلا ما شاء الله إن شاء أي لو فرض أن الله تعالى شاء إخراجهم من النار أو الجنة في زمان لكان مستثنى من مدة خلودهم لكن ذلك لا يقع لدلالة القواطع على عدم وقوعه. وهذا كقوله" وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ "الإسراء: ٨٦. ونظائره يخبر عباده أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال الفراء: هذا استثناء استثناه سبحانه ولا يفعله كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه... المعنى لو شاء لأخرجهم لكنه لا يشاء لأنه سبحانه حكم لهم بالخلود...

وعبارة أبي السعود: واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال" إن ربك فعال لما يريد "يعني إنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته

الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب الأجزية على أفعال العباد[1].
وقيل: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلام لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)

٥- أنه من المتشابه وأن المحكم" خالدين فيها "" وما هم منها بمخرجين" الحجر: ٤٨ والآيات المصرحة بخلود أهل النار في القرآن كثيرة جدا فيرد المتشابه وهي آية الاستثناء إلى المحكم وقد حكم الله بخلود أهل النار في النار وتواترت الأحاديث بإخراج عصاة الموحدين وقد ورد الاستثناء فلا ندري ما أراد الله هل بإخراج العصاة من الموحدين كما قال جماهير أهل السنة. أو أراد به أمرا استأثر الله بعلمه فنقول: "آمنا بالله كل من عند ربنا" آل عمران: ٧ عن قتادة في قوله تعالى: "إلا ما شاء ربك" فإن الله أعلم ثنيته على ما وقعت وأخرج ابن جرير عن (٩٤) ابن زيد قال: قد أخبرنا الله بالذي شاء لأهل الجنة فقال: "عطاء غير مجذوذ" ولم يخبرنا بالذي شاء لأهل النار. أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال هاتان من المخبآت قول الله تعالى فمنهم شقي وسعيد وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا المائدة ١٠٩ فأما قوله فمنهم شقي وسعيد فهم قوم من أهل الكبائر من أهل القبلة يعذبهم الله بالنار ما شاء

---

١ روح المعاني ٢٦/٨، ٢٧ و١٤٣/١٢-١٤٥ أبو السعود ٢٤٢/٤

بذنوبهم ثم يأذن بالشفاعة فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة فسماهم أشقياء حين عذبهم بالنار. فهذه الرواية دالة على أنه كغيره من الجماهير القائلين بخروج الموحدين من النار ولا قول له بفناء النار فإنه وجه الاستثناء إلى الموحدين في قوله تعالى إلا ما شاء ربك. وابن تيمية يقول إنه عائد إلى فناء النار أيضا كما ستسمعه عند التكلم على الآية وظاهر نقل ابن تيمية لأثر ابن عباس أنه قائل بفناء النار!

الدخيل قول من قال بفناء النار ومن ذهب إلى ذلك القول المنكر تأول بلا دليل وذكر احتمالات غير مقبولة لذا وجب التنبيه إلى بطلانه. قال أبو حيان: وقد تعلق قوم بظاهر هذا الاستثناء فزعموا أن الله يخرج من النار كل بر وفاجر ومسلم وكافر وأن النار تخلو وتخرب، وقد ذكر هذا عن بعض الصحابة ولا يصح ولا يعتبر خلاف هؤلاء ولا يلتفت إليه.

وأما الأقوال في هذه المسألة فقد ذكرها ابن القيم في كتاب حادى الأرواح — وقد نسب هـ لشيخ الإسلام ابن تيمية وقال في آخرها: إنها مسألة أكبر من الدنيا وما فيها بأضعاف مضاعفة

والذي يهمنا هنا قول من قال بفناء النار

وللاختصار سنذكر دليلهم ونرد عليه مباشرة

١- استدلاله بنسبته للسلف قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

الجواب عن ذلك هؤلاء الأربعة الذين عين أسماءهم من الصحابة ونقل عنهم القول بفناء النار وذهابها وتلاشيها هم برئيون منه لأنه لم يثبت عنهم

أما أثر عمر فعن الحسن والحسن لم يسمع من عمر- وهو معروف بأنه لا يؤخذ بمراسيله فالأثر منقطع. قال ابن تيمية ولو كان كلام عمر هذا غير صحيح لما تداولته الأئمة ولوجب إنكارهم له لمخالفته الإجماع والكتاب والسنة. والجواب عن ذلك نقول كلام عمر لا يصح إلا على تقدير أنه أراد به الموحدين قول عليه جماهير الأئمة.

قال شيخ الإسلام وأما أثر ابن مسعود فإنه ذكر عنه البغوي أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد ثم قال وعن أبي هريرة مثله.

وهذان الأثران ذكرهما البغوي ثم قال عقب ذكرهما ما لفظه:

(ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان وأما مواضع الكفار فممتلئة كان أبداً.

ثم قال ابن تيمية مستدلاً لفناء النار وانقطاعها أنه قال الله تعالى "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا" إلى قول "إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتنا كِذَّابًا" النبأ ٢٣ - ٢٨. وقال هذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الأبدي بمدة الأحقاب. فأفاد مفهوم الأحقاب أنه لا خلود فيها إذ الأبدي لا يقدر بزمان وأما دلالتها على أن المخبر عنهم باللبث أحقاباً هم الكفار فلقوله فيهم "إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتنا كِذَّابًا" وهذه صفات الكفار وهذا تقرير مراد شيخ الإسلام. والعجب من استدلاله

بصدر الآية وذهوله عما عقب به من قوله "فَلَنْ نزيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) فإن المراد لن نزيدكم بعد لبثكم أحقابا إلا عذابا ضرورة أنهم معذبون حين لبثهم فيها أحقابا" لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) فزيادة العذاب بعد الأحقاب بل خص تعالى الزيادة على العذاب وأنه تعالى لا يزيدهم بعد لبث الأحقاب إلا عذابا فانتفى مفهوم العذاب الذي أفاده الجمع الذي جعله ابن تيمية دليلاً على فناء النار وعدم أبديتها مع أنه استدلال بمفهوم العدد وهو من أضعف المفاهيم على هذه المسألة المعظمة الذي لا يعتمد عليه محقق وكيف يجعل أقوى من التأبيد المصرح به في عدة آيات من آيات وعيد أهل النار فلو عارض مفهوم العدد منطوق التأبيد لكان الحكم للمنطوق اتفاقاً.. وقال الحسن ليس للأحقاب عدة إلا الخلود وذكره عنه البغوي.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال الأحقاب ما لا انقطاع له كلما مضى حقب جاء بعده حقب

وبعد أن ساق الألوسي أقوال السلف في بيان معنى أحقابا قال: وأياً ما كان فالمعنى لابثين فيها أحقاباً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وإفادة التتابع في الاستعمال بشهادة الاشتقاق فإنه من الحقيبة وهي ما يشد خلف الراكب والمتتابعات يكون أحدها خلف الآخر فليس في الآية ما يدل على خروج الكفرة من النار وعدم خلودهم فيها لمكان فَهْم التتابع في الاستعمال

وصيغة القلة لا تنافي عدم التناهي إذ لا فرق بين تتابع الأحقاب الكثيرة إلى ما لا يتناهى وتتابع الأحقاب القليلة كذلك[1].

قال الصنعاني: هذا – ثم أن ابن القيم – عفا الله عنا وعنه لم يقنع بميله إلى القول بفناء نار الكفار وتخلصهم به من العذاب الأبدي في تلك الدار حتى طمع لهم في رحمة الله أن ينزلهم منازل الأبرار جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك ما يظهر من بعض الأدلة التي ساقها تأييدا للقول بفناء النار وهذا أخطر من القول بفناء النار[2].

فثبت لدينا بأقوال أئمة الدين وحماة العقيدة أن القول الصواب أن الجنة والنار لا تفنيان وأن النار لا تفنى ولا يذهب عذابها ولا قول لأحد بعد ثبوت الدليل ووضوح السبيل.

٢٨-* في قوله تعالى "المص" قال السدي إن "المص" هجاء اسم الله هو المصور وبقول زيد بن علي إن معناه أنا الله الفاصل [3]. وهذا لا دليل عليه بل هن من الحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن الكريم كما هو بين في مظانه.

---

١ روح المعاني ١٥/٣٠

٢ رفع الأستار صـ٣٧ وممن قال هذا الرأي العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في تفسير سورة (الأنعام) (٨ / ٦٩ – ٩٩) تحت (فصل في الخلاف في أبدية النار وعذابها)

٣ المحرر الوجيز ٣٧٢/٢

٢٩-*الدخيل في تفسير قوله تعالى "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ" الأعراف: (١٥٤.

الأصيل: قوله وَلَمَّا سَكَتَ سكن عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ باعتذار هارون، أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث أنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت[1]

الدخيل: قيل المعنى: ولما سكت موسى عن الغضب قال ابن عطية: وقيل إن في المعنى قلبا، والمراد ولما سكت موسى عن الغضب فهو من باب أدخلت فمي في الحجر وأدخلت القلنسوة في رأسي. ونسبه الرازى لعكرمة فقال وَالْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، إِنَّ الْمَعْنَى: سَكَتَ مُوسَى عَنِ الْغَضَبِ وَقُلِبَ كَمَا قَالُوا: أَدْخَلْتُ الْقَلَنْسُوَةَ فِي رَأْسِي، وَالْمَعْنَى: أَدْخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقَلَنْسُوَةِ.

قلت: وهذا لا يصح فقد رده المحققون فقد رده أبو حيان قائلاً: وَلَا يَنْبَغِي هَذَا لِأَنَّهُ مِنَ الْقَلْبِ وَهُوَ لَمْ يَقَعْ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَنْقَاسُ، وقال ابن الجوزى: والأول هو قول أهل العربية. قال الخازن: والقول الأول أصح لأنه قول أهل اللغة، وعده الكرماني من الغريب فقال: الغريب: هذا من المقلوب، أي سكت موسى عن الغضب. أما العلامة الألوسي

١ البيضاوي ٣/٣٦

فقال متهكما بمن قاله: ولا يخفى أن السكوت كان أجمل بهذا القائل إذ لا وجه لما ذكره [1]

٣٠-* الدخيل في تفسير قوله تعالى "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ" الأعراف: ١٧٥.

روى ابن مردويه وغيره من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه بلعم بن باعوراء وفي لفظ بلعام بن باعر وكان من الكنعانيين وفي رواية عنه وعن أبي طلحة أنه من بني إسرائيل وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب أنه أمية بن أبي الصلت وأخرج أبو الشيخ عن الحبر أنه رجل من بني إسرائيل له زوجة تدعى البسوس وفي رواية أخرى أخرجها ابن أبي حاتم عنه أنه النعمان بن صيفي الراهب وكونه إسرائيليا أنسب بالمقام كما لا يخفى والأشهر أنه بلعام أو بلعم قلت لعل ذلك من باب المثل ففي كل ما قيل يصدق عليهم حكم الآية وقام الألوسي ببيان كيفية ولكنه رجح رواية هي كما قال أولى بالقبول: وأخرج ابن المنذر عن مالك بن دينار أنه كان من علماء بني إسرائيل وكان موسى عليه السلام يقدمه في الشدائد ويكرهه وينعم عليه فبعثه إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله تعالى وكان مجاب الدعوة فترك دين

---

١ بحر العلوم١/٥٥٤ زاد المسير ٢/ ١٥٨ غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٤٢٤ مفاتيح الغيب ١٥/٣٧٤ المحرر الوجيز ٢/٤٥٩ البحر المحيط ٥/١٨٥ الخازن ٢/٢٥٤ روح المعاني ٩/ ٧١

موسى عليه السلام واتبع دين الملك وهذه الرواية عندي أولى مما تقدم بالقبول

ومن الدخيل: وعن الحسن وابن كيسان أن المراد بهذا الذي أوتي الآيات فانسلخ منها منافقو أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ولم يؤمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم إيمانا صحيحا ويبعد ذلك إفراد الموصول وعن قتادة أن هذا مثل لمن عرض عليه الهدى واستعدله فأعرض عنه وأبى أن يقبله وفيه بعد مخالفة للروايات المشهورة وأوهن الأقوال عندي قول أبي مسلم: إن المراد به فرعون والمراد بالآيات الحجج الدالة على صدق موسى عليه السلام وكأنه قيل: واتل عليهم نبأ فرعون إذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى عليه السلام فلم يقبلها

والأصيل في بيان مرجع الضمير في قوله تعالى "وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ" الأعراف: ١٧٦ مرجع الضمير (رفعناه) للذي وضمير (بها) للآيات والباء سببية ومفعول المشيئة محذوف هو مضمون الجزاء كما هو القاعدة المستمرة أي لو شئنا رفعه لرفعناه إلى منازل الأبرار بسبب تلك الآيات والعمل بما فيها وكذلك من الدخيل من قال إن: وقيل: الضمير المنصوب للكفر المفهوم من الكلام السابق أي لو شئنا لأزلنا الكفر بالآيات فالرفع من قولهم: رفع الظلم عنا وهو خلاف الظاهر جدا وإن روي

عن مجاهد ومثله بل أبعد وأبعد ما نقل عن البلخي والزجاج من إرجاع ضمير بها للمعصية [1]

*- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: ٤٤] الدخيل القول بعجمة (ابْلَعِي)وهذا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي – رحمه الله- يرد على هؤلاء وهاك مثال لما رده قال رحمه الله: وإن تعجب فعجب قولهم إن (ابلعي) بلغة أهل الهند وهذا القول إلى الهزل أقرب منه إلى الجد وقائله ليس أهلاً أن يؤخذ عنه العلم وإنما هو يهرف بما لا يعرف وأهل الهند أجناس كثيرة لهم مئات من اللغات ولا تكاد تسير مسافة يوم إلا وجدت جنساً آخر له لغة أخرى. وفي زماننا هذا نرى الدماء تسفك بينهم بسبب اللغات فلا يرضى جنس أن تكون لغة الدولة لغة أخرى غير لغته، على أن (بلع) كلمة عربية سامية أصيلة عريقة في عروبتها وساميتها وترفع راية اللغات السامية وهي حرف العين. ومن المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان إلا في اللغات السامية، فإن وجدت إحداهما في كلمة من لغة غير سامية فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة[2].

٢٩-* الدخيل في تفسير قوله تعالى "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي" هود: ٤٥أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر

---

١ روح المعاني ١١١/٩

٢ http: //www. alhilali. net/?c=٣&p=٢&f=٤٠&a=ard

الدخيل: قال الزمخشري لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه وكان لغير رشده وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله "وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ" هود: ٤١[١].

٣٠-* في قوله تعالى(وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) هود.

الأصيل: ضحكت هو الضحك المعروف،

وسبب ضحكها سرورا بزوال الخيفة التي اعترت زوجها؛ ولأنها استأنست بأن هؤلاء سيقضون على أهل الدعارة والفساد، ولأنها كانت خائفة على لوط من قومه أو إذا نزل عذاب يعم قومه..

الدخيل: وقيل: معناه: "فضحكت": فحاضت.

روى الطبري عن مجاهد في قوله: (فضحكت)، قال: حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. قال: وكان إبراهيم ابن مائة سنة. [٢]. وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع "ضحكت"، بمعنى: حاضت،

---

١ ابن جزي ١٠٦/٢

٢ قال الشيخ شاكر: " علي بن هارون " مجهول، فإن " بقية بن الوليد " مشهور بالرواية عن هؤلاء المجهولين، وكان يحدث بالمناكير عن هؤلاء المجاهيل، وكان يأخذ عن كل من أدبر وأقبل. فهذا " علي بن هارون " ممن أدبر أو أقبل!! وأما " عمرو بن الأزهر العتكي "، فهو كذاب يضع الحديث مترجم في ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٢٢١، وتاريخ بغداد ١٢: ١٩٣، وميزان الاعتدال ٢: ٢٨١، ولسان الميزان ٤: ٣٥٣. فهذا خبر هالك من جميع نواحيه.

من ثقة. وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول "ضحكت المرأة"، حاضت. قال: وقد قال: "الضحك"، الحيض، وقد قال بعضهم: "الضحك": الثَّغْرُ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قولُ من قال: معنى قوله: "فضحكت" فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: (لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط). قال ابن عطية: وهذا القول ضعيف قليل التمكن. وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقرره بعضهم ويقال ضحك إذا امتلأ وفاض ورد الزجاج قول مجاهد وقال الجمهور هو الضحك المعروف.

وفي اللسان: قال الفراء وأما قولهم فضحكت حاضت فلم أسمعه من ثقة قال أَبو عمرو وسمعت أبا موسى الحامض يسأل أبا العباس عن قوله فضحكت أي حاضت وقال إنه قد جاء في التفسير فقال ليس في كلام العرب والتفسير مسلم لأهل التفسير[1] وقال أَبُو إِسْحاقَ الزَّجّاج:... فأَمّا من قالَ في تفَسِيره: إنّها حاضَتْ فلَيسَ بشَيءٍ ورَوَى الأَزْهَرِيُّ عن الفَرّاءِ مثلَ هذا.

قال النحاس: وقيل فضحكت فحاضت وهذا قول لا يعرف ولا يصح قال الرازى: وَاخْتَلَفُوا فِي الضَّحِكِ عَلَى قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى نَفْسِ

١ لكن بشروطه المعروفة مثل أن يكون بالمشهور عن العرب لا بالغريب كما هنا.

الضَّحِكِ،... وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ كُلَّهَا زَوَائِدُ. وَإِنَّمَا الْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُوَ الْأَوَّلُ. - يعنى نَفْس الضَّحِكِ -وقال الشيخ محمد أبو زهرة:

وبعض المفسرين قال إن (ضحكت) معناها حاضت، وعندي أنه إذا جاز ذلك لغويا فإن ظاهر الضحك هو ما يكون بسبب السرور، ولا يخرج اللفظ عن ظاهره إلا لقرينة فإن ادعوا أنها البشرى بغلام فإنها ليست قرينة تخرج اللفظ عن ظاهره وإن البشرى أقرب إلى أن يرجح أن الضحك للسرور وأنها لما ضحكت وسمعها الرسل كانت البشرى. [١].

٣١-* في قوله تعالى (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)

* الأصيل (ضعيفاً) ": أنه ضعيف الانتصار والقدرة وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه.

*الدخيل: (ضعيفاً)" بمعنى أعمى "على لغة حمير قال ابن عطية: وهذا كله ضعيف ولا تقوم عليه حجة، ورده الإمام الزمخشري فقال عنه: وليس بسديد؛ لأن (فينا) يأباه، ألا ترى أنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى، لم يكن كلاماً، لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم. وذكر الرازي عدة وجوه لرده:

الأول: أنه ترك للظاهر من غير دليل.

---

١ ابن جرير /-٢٢٩ ابن عطية ١٨٩/٣ معاني القرآن للنحاس ٣/ ر٣٦٤ وتفسير الرازي (١٨/ ٣٧٤) زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٣١) اللسان: وتاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، مرتضى الزَّبيدي مادة (ضحك)

الثاني: أن قوله تعالى: (فينا) يبطل هذا الوجه، ألا ترى أنه لو قال: إنا لنراك أعمى فينا كان فاسداً، لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم.

الثالث: أنهم قالوا بعد ذلك (وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) [هود٩١] فنفوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه، ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصرة وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصرة. قال ابن عاشور: " ومن فساد التفاسير تفسير الضعيف بفاقد البصر وأنه على لغة حميرية فركبوا منه أن شعيباً عليه السلام كان أعمى، وتطرقوا من ذلك إلى فرض مسألة جواز العمى على الأنبياء وهو بناء على أوهام، ولم يعرف من الأثر ولا من كتب الأولين ما فيه أن شعيباً عليه السلام كان أعمى. [1]

٣٢-*في تفسير قوله تعالى (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)هود. قال البيضاوي: وَعنهُ عَلَيْهِ السَّلَام أَنه سَأَلَ جِبْرِيل فَقَالَ: يَعْنِي، ظالمي أمتك، مَا من ظَالِم مِنْهُم إِلَّا وَهُوَ بمعرض حجر حَتَّى يسْقط عَلَيْهِ من سَاعَة إِلَى سَاعَة. قَالَ الْوَلِيّ الْعِرَاقِيّ ذكره الثَّعْلَبِيّ بِغَيْر إِسْنَاد، وَلم أقف لَهُ عَلَى إِسْنَاد[2].

٣٣-* قوله: (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) ١٩: يوسف.

الأصيل: تبشير من المدلي دلوَه أصحابَه، في إصابته يوسف بأنه أصاب عبدًا عن قتادة: (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال: بشّرهم واردهم حين وجدَ يوسف.

---

١ الكشاف ٢٨٩/٢ ابن عطية ٢٠٢/٣ مفاتيح الغيب ٦٠١/٨، التحرير والتنوير ١٠/ ١٤٦

٢ الفتح السماوي ٧٢٠/٢، ٧٢١

الدخيل: قيل: بل ذلك اسم رجل من السيَّارة بعينه، ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلِّقًا بالحبل. عن السدي: (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال: نادى رجلا من أصحابه يقال له "بشرى"، فقال: (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ). ورد ذلك ابن كثير قائلا: زعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه، معلما له أنه أصاب غلامًا. وهذا القول من السدي غريب. قال النحاس: قول قتادة أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً [1].

٣٤-* معنى (أَكْبَرْنَهُ) في قوله تعالى (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)سورة يوسف.

الظاهر أن الهاء ضمير يوسف. ومعنى أَكْبَرْنَه عَظَّمْنه ودُهِشْن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع.

الدخيل: قال الزمخشري: "وقيل: أَكْبَرْنَ بمعنى" حِضْنَ "والهاء للسكت، يقال: أَكْبَرَتِ المرأةُ إذا حاضَتْ، وحقيقتُه: دَخَلَتْ في الكِبَر؛ لأنها بالحيض تخرُجُ مِنْ حَدِّ الصِّغَرِ إلى الكِبَرِ... وكونُ الهاء للسكتِ يَرُدُّه ضمُّ الهاءِ، ولو كانت للسكت لَسَكَنَتْ وقد يقال: إنه أَجْراها مُجْرى هاء الضمير، وأَجْرى الوصلَ مُجْرى الوقف في إثباتها. قال الشيخ-أبو حيان-: " وإجماعُ القُرَّاء على ضمِّ الهاء في الوصل دليلٌ على أنها ليسَتْ هاءَ السكت؛ إذ لو كانت

---

١ الطبري ١/١٥- ٤ ابن كثير ٣٧٦/٤ القرطبي ١٥٣/٩، ١٥٤

هاءَ السكت وكان من إجراء الوصلِ مُجْرى الوقفِ لم يضمَّ الهاء ". قلت- السمين الحلبي-: وهاء السكت تُحَرَّك بحركةِ هاءِ الضمير إجراءً لها مُجْراها، ويمكن أن يكون" أَكْبَرْنَ "بمعنى حِضْنَ ولا تكون الهاءُ للسَّكْت، بل تُجْعل ضميرَ المصدرِ المدلولِ عليه بفعله أي: أَكْبَرْنَ الإِكبار، وأنشدوا على أن الإكبار بمعنى الحيض قولَه:

يأتي النساءَ على أَطْهارِهِنَّ ولا * يأتي النساءَ إذا أَكْبَرْن إكبارا

قال الطبري: " البيت مصنوعٌ ". قال ابن عطية. وهذا قول ضعيف من معناه منكور والبيت مصنوع مختلق كذلك قال الطبري وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله- حيث نسب هذا القول لجده — قال النحاس: ومن قال حِضن فقد جاء بما لا يُعرف وحِضن لا يتعدى والمعنى هالهن فأعظمنه [1].

٣٥-* في قوله تعالى" لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ "لفظ عام في الأشياء التي لها آجال، لأنه ليس منها شيء إلا وله أجل في بدئه وفي خاتمته، وذلك الأجل مكتوب محصور. الدخيل: قال الضحاك والفراء: المعنى لكل كتاب أجل، قال أبو حيان: ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر وأما هنا فالمعنى

---

١ الدر المصون ٨/٩ ابن عطية ٢٣٩/٣ البحر المحيط ٢٠٢/٥، ٢٠٣ الكشاف ٤٣٨/٢ معاني القرآن للنحاس ٤٢٢/٣

في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه، إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها، لا أجل لها [1].

٣٦-* قوله تعالى (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) النحل: ٢٦ قال الإمام الرازى - رحمه الله- (وفي المراد بالذين من قبلهم قولان: القول الأول من خصص أو من أراد ذكر مثال لتلك الأمم الكافرة: وهو أن المراد منه نمروذ بن كنعان بنى صرحاً عظيماً ببابل طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها، فالمراد بالمكر ههنا بناء الصرح لمقاتلة أهل السماء. وقال أبو حيان وقال ابن الكلبي: المراد المقتسمون المذكورون في سورة الحجر. وقيل: الذين من قبلهم بخت نصر وأصحابه. وقال الضحاك: قريات قوم لوط، وقالت فرقة: المراد بالذين من قبلهم من كفر من الأمم المتقدمة ومكر، ونزلت به عقوبة من الله،

القول الثاني: وهو الأصح، أن هذا عامّ في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالمحقين. قال صديق خان والأولى أن الآية عامة فى جميع المبطلين الماكرين... ورجحه الألوسى والشوكانى [2].

٣٧- * قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) الأصيل هو القرآن والسنة فهي من الوحي أيضا قال ابن جرير وإنا للقرآن لحافظون من

---

١ البحر٥/٣٨٧

٢ مفاتيح الغيب ١٧/٢٠ فتح البيان فى مقاصد القرآن ٢١/٤. فتح القدير ١٧٨/٣. روح المعانى ١٢٦/١٤

أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (لَهُ) من ذكر الذكر.

الدخيل: وقيل: الهاء في قوله(وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

قال الكرماني: قال قتادة: له لمحمد حافظون من أعداءه. قلت: والظاهر أنه للقرآن وهو الأولى [1].

٣٨-* قوله تعالى(كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠)سورة الحجر. الأصيل: قال ابن عباس وسعيد بن جبير المتقسمون هم أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله أعضاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم من كفار قريش الذين اقتسموا الطرق وقت الموسم ليعرفوا الناس بحال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وجعلوا القرآن سحرا وشعرا وكهانة فعضهوه بهذا وعضوه أعضاء بهذا التقسيم

الدخيل: قال ابن زيد: قوم صالح تقاسموا بالله لبيبتنه وأهله قال ابن عطية: ويقلق هذا التأويل مع قوله (الذين جعلوا القرآن عضين [2].

٣٩-* رد القول في تأويل المقام المحمود بجلوس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على العرش

الأصيل في تفسير قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)

---

١ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٥٨٧/١، الطبري ٦٩/١٧ ابن عطية ٣٥٢/٣

٢ غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٥٩٤/١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)سُئِلَ عَنْهَا قَالَ هِيَ الشَّفَاعَةُ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَدَاوُدُ الزَّعَافِرِيُّ هُوَ دَاوُدُ الْأَوْدِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ عَمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ[1].

الدخيل: قال ابن جرير: ذهب آخرون إلى أن ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يبعثه إياه هو أن يجلسه معه على عرشه رواه ليث عن مجاهد وقد شنع الواحدي على القائل به مع أنه رواه عن ابن مسعود أيضا وعبارته –على ما نقلها الرازي – وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه:

الأول: أن البعث ضد الإجلاس، يقال: بعثت النازل والقاعد فانبعث. بعث الله الميت أي أقامه من قبره فتفسير البعث بالإجلاس تفسير للضد بالضد وهو فاسد.

الثاني: أنه تعالى قال (مقاما محمودا) ولم يقل مقعدا. والمقام موضع القيام لا موضع القعود.

قال ابن جرير: وأولى القولين بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله  أنه مقام الشفاعة –ثم قال– وهذا وإن كان هو الصحيح في القول في تأويل المقام المحمود لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله  وأصحابه والتابعين. فإن

---

١ سنن الترمذي كتاب التفسير بَاب وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَرقم(٣٠٦٢)

ما قاله مجاهد: من أن الله يقعد محمدا  على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر. ولا نظر. وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله  ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين بإحالة ذلك... قال الذهبي: فأما قضية قعود نبينا علي العرش، فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه. وما فسر به مجاهد الآية، قد أنكره بعض أهل الكلام، وهذا المروي عن مجاهد رحمه الله ظاهر البطلان ويكفي في رده كلام المحقق الكوثري رحمه الله فقد قال: عن تفسير المقام: إن تفسيره بالشفاعة متواتر معني عن النبي صلي الله عليه وسلم فأني يناهضه قول تابعي علي تقدير ثبوته؟ ومن يقول إن الله سبحانه قد أخلي مكانا للنبي صلي الله عليه وسلم في عرشه فيقعده عليه في جنب ذاته فلا نشك في زيغه وضلاله واختلال عقله رغم تقول جماعة البربهارية من الحشوية وكم آذوا ابن جرير حتى أدخل في تفسيره بعض شئ من ذلك مع أنه القائل سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس. ولو ورد مثل ذلك بسند صحيح لرد وعد أن هذا سند مركب فكيف وهو لم يرفع إلي النبي صلي الله عليه وسلم أصلا بل نسب إلي مجاهد بن جبر، نعم لا مانع من أن يكون الله سبحانه يقعده علي عرشه أعده لرسوله صلي الله عليه وسلم في القيامة إظهارا لمنزلته لا أنه يقعد ويقعده في جنبه، تعالي الله عن ذلك.

إذ هو محال يرد بمثله خبر الآحاد علي تقدير وروده مرفوعا فكيف ولم يرد ذلك في المرفوع حتى قال الذهبي: لم يثبت في قعود نبينا صلي الله عليه وسلم

علي العرش نص بل في الباب حديث واهٍ وقال أيضا: ويروي مرفوعا وهو باطل. فما ذكره ابن عطية من التأويل وسايره الألوسي فليس في محله لأن أصحاب الاستقراء لم يجدوه مرفوعاً حتى نحتاج إلي محاولة التأويل بما يمجه الذوق ومن ظن أنه يوجد في مسند الفردوس ما يصح في ذلك لم يعرف الديلمي ولا مسنده وأرسل الكلام جزافاً.

وأما ما يروى عن أبي داود أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم فبطريق النقاش صاحب شفاء الصدور وهو كذاب عند أهل النقد وقال ابن عبد البر إن لمجاهد قولين مهجورين عند أهل العلم، أحدهما تأويل المقام المحمود بهذا الإجلاس والثاني تأويل (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة: ٢٣). انتظار الثواب [١] ...قال ابن عطية: وعضد الطبري جواز ذلك –ما روى عن مجاهد–بشطط من القول وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى وفيه بعد ولا ينكر مع ذلك أن يروى والعلم يتأوله. كما أن الإمام القرطبي رد هذا القول الغريب[٢].

٤٠-* قوله تعالى (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) الكهف: ٨٧ "فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ": بالقتل قال الآلوسي والظاهر

---

١السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للإمام تقي الدين السبكي تحقيق وتكملة الرد على نونية ابن القيم العلامة محمد زاهد الكوثري صـ ١٤٧، ١٤٨ بالحاشية الناشر مكتبة زهران.

٢ ابن عطية ٤٧٩/٣ أبو حيان ٧١/٦القرطبي: ٥/ ٣٩٢٧ محاسن التأويل فيه تفصيل عجيب يقوي فيه كلام مجاهد رحمه الله: ٣٩٦٩/١٠-٣٩٧٤

أنه كان بالسيف وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كان عذابه أن يجعلهم في بقر من صفر ثم يوقد تحتهم النار حتى يتقطعوا فيها وهو بعيد عن الصحة[1]

٤١*-قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)مريم.

أتاها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها إلى رحمها[2].

-* معنى(تَقِيًّا) في قوله تعالى (قَالت إِنِّي أعُوذُ بِالرَّحمنِ مِنْكَ إن كُنتَ تَقِيًّا). مريم: ١٨ قال ابن كثير: قال أبو العالية أن التقي ذو نهية وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي فإن هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال. قال أبو حيان: وقول من قال تقي اسم رجل صالح أو رجل فاسد ليس بسديد[3].

٤٢-* قوله تعالى "فَنَادَاهَا مِن تَحتِهَا أَن لا تَحزنِي قَد جَعَلَ ربكِ تَحتَكِ سَرِيًّا" الدخيل "فناداها" أي جبريل عليه السلام "من تحتها" قيل أنه كان يقبل الولد أي يقوم بعملية التوليد.

---

١ روح المعاني ٣٤/١٦

٢ تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧)

٣ البحر المحيط ١٧٠/٦ البداية والنهاية ٤٥٥/١ تحقيق محمد عبد العزيز النجار دار الغد العربي

وقد رده الألوسي قائلاً: ولعله إنما كان موقفه عليه السلام هناك إجلالاً لها وتحاشياً من حضوره بين يديها في تلك الحال والقول بأنه عليه السلام كان تحتها يقبل الولد مما لا ينبغي أن يُقال لما فيه من نسبة ما لا يليق بشأن أمين وحي الملك المتعال[1].

٤٣-* أخت هارون:

فقالت فرقة كان لها أخ اسمه هارون لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركا بأسم هارون فالمعنى أنه اسم وافق اسماً. أو نسبوها إلى هارون أخي موسى لأنها كانت من نسله.

الدخيل: عن محمد بن كعب القرظي في قول الله عز وجل: (يَا أُخْتَ هَارُونَ) قال: هي أخت هارون لأبيه وأمه، وهي أخت موسى أخي هارون التي قَصَّت أثر موسى، (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)القصص: ١١] قال ابن كثير: وهذا القول خطأ محض ويقرب منه في الخطأ كان في ذلك الزمن رجل فاجر اسمه هارون فنسبوها إليه على جهة التعيير والتوبيخ ذكره الطبري ولم يسم قائله [2].

٤٤-* قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... ) الحج: ٧٨ قال الإمام الرازى هل يصح ما نقل عن مقاتل والكلبي أن هذه الآية منسوخة بقوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

---

١١ أبو السعوده/٢٦٢ روح المعاني ٨٢/١٦

٢ ابن عطية ١٢/٤-١٤ ابن كثير ٢٢٧/٥

اسْتَطَعْتُمْ)التغابن: ١٦ كما أن قوله: (اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)آل عمران: ١٠٢ منسوخ بذلك؟ الجواب: هذا بعيد؛ لأن التكليف مشروط بالقدرة لقوله – تعالى –: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) البقرة: ٢٨٦. فكيف يقول الله وجاهدوا في الله على وجه لا تقدرون عليه، وكيف وقد كان الجهاد في الأول مضيقاً حتى لا يصح أن يفر الواحد من عشرة، ثم خففه الله بقوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٦) أفيجوز مع ذلك أن يوجبه على وجه لا يطاق حتى يقال إنه منسوخ؟ [١].

٤٥–* في تفسير قوله تعالى "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

" الأحزاب: ٧٢.

الأصيل قال الشوكاني: معنى الأمانة هاهنا في قول جميع المفسرين: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب. قال القرطبي: والأمانة تعمّ جميع وصائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.

ومعنى أبين وحملها على التمثيل:

قال جماعة من العلماء: ومن المعلوم أن الجماد لا يفهم ولا يجيب، فلا بدّ من تقدير الحياة فيها، وهذا العرض في الآية هو عرض تخيير لا عرض إلزام.

١ مفاتيح الغيب ٢٣/٦٤

وقال القفال وغيره: العرض في هذه الآية ضرب مثل، أي إن السماوات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب، أي أن التكليف أمر عظيم، حقه أن تعجز عنه السماوات والأرض والجبال، وقد كلفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل.

الدخيل وقال السدّي: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل، وخيانته إياه في قتله. قال الشوكاني: وما أبعد هذا القول، وليت شعري ما هو الذي سوّغ للسدّي تفسير هذه الآية بهذا، فإن كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل، وليست هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد؛ حتى يكون له في ذلك متمسك أبعد من كل بعيد، وأوهن من بيوت العنكبوت، وإن كان تفسير هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية، فليس في لغة العرب ما يقتضي هذا، ويوجب حمل هذه الأمانة المطلقة على شيء كان في أوّل هذا العالم، وإن كان هذا تفسيراً منه بمحض الرأي، فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به، ولهذا ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه، فاحذر أيها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير، واشدد يديك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية، فهو قرآن عربيّ كما وصفه الله،... ثم تحدث عن معنى عرض الأمانة وذكر قولاً غريباً فرده قال رحمه الله: وقيل: هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال وسائر المخلوقات من الدلائل على ربوبيته أن يظهروها فأظهروها، إلاّ الإنسان فإنه

كتمها وجحدها. كذا قال بعض المتكلمين مفسراً للقرآن برأيه الزائف، وقيل: إن عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال إنما كان من آدم عليه السلام، وأن الله أمره أن يعرض ذلك عليها، وهذا أيضاً تحريف لا تفسير[1].

٤٦-*وقال بعضهم في قوله تعالى (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨)السجدة (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا) على بن أبي طالب (كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا)الوليد بن عقبة[2]. قلت إن الوليد كان مع الصبيان وقت فتح مكة فأين هو وقت نزول هذه الآية المكية. فاللفظ عام ولا داع للتخصيص

٤٧-* معنى أَوِّبِي في قوله تعالى (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) (١٠: سبأ)

الأصيل معنى (أَوِّبِي مَعَهُ): رَجِّعي معه مُسَبِّحة معه.

الدخيل: قال ابن كثير: وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه "الجُمل" في باب النداء منه: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) أي: سيري معه بالنهار كله، والتأويب: سير النهار كله، والإسآد: سير الليل كله. وهذا لفظه، وهو غريب جدًا لم أجده لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في معنى الآية ها هنا[3].

---

١ فتح القدير ٤/ ٣٠٨

٢ غرائب التفسير وعجائب التأ ويل: ٩٠٧/٢ مجمع البيان ٣٣٢/٤ القرطبي ١٤/

٣ تفسير القرآن العظيم٦/٤٩٧

*- الدخيل في تفسير قوله تعالى "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ٢٨"

الأصيل والظاهر أن المراد بهذا الجند الملائكة أي ما أنزلنا لإهلاكهم ملائكة مِنَ السَّماءِ وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ

الدخيل: وقيل: الجند ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء عليهم السلام أي قطعنا عنهم الرسالة حين فعلوا ما فعلوا ولم نعبأ بهم أهلكناهم، وعن الحسن ومجاهد قالا قطع الله تعالى عنهم الرسالة حين قتلوا رسله، وهذا التفسير بعيد جدا، وقتل الرسل الثلاثة محكي في البحر بقيل وهو ظاهر هذا المروي لكن المعروف أنهم لم يقتلوا وإنما قتل حبيب فقط، [1].

*- قال ابن كثير ومعنى قوله: (أَوِّبِي) أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد. وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سَبّحي بلسان الحبشة. وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها[2].

٤٨*- الدخيل في تفسير قوله تعالى (وَإِذَا مَسّ الإِنسَانَ ضُرّ) الزمر: ٨ هذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار) والأظهر أن المراد بالإنسان جنس الكافر لأن قوله (وَجَعَلَ لِلّهِ أَندَاداً) لا

---

١ روح المعاني٢٣/٢

٢ ابن كثير ٤٩٧/٦

يتفق مع حال المؤمنين. قال ابن عاشور: والقول بأن المراد إنسان معين وأنه عتبة بن ربيعة أو أبو جهل خروج عن مهيع الكلام [1].

٤٩*- الدخيل في تفسير قوله تعالى (وَالَّذِينَ اجْتَنبُواْ الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوَاْ إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَىَ فَبَشّرْ عِبَادِ (١٧) الزمر. قال ابن زيد نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر[2]. وهذا إسناده ضعيف جداً قال ابن كثير: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال ابن عطية وهي على كل حال عامة في الناس إلى يوم القيامة يتناولهم حكمها[3].

---

١ التحرير والتنوير ٣٤٢/٢٣

٢ إسناده ضعيف جداً لضعف ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي. ضعفه أحمد والنسائي وأبو زرعة قال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا. قال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفا جداً. قال البخاري: ضعفه على جداً. قال الشافعي ذكر رجل لمالك حديثا منقطعا فقال اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح قال ابن عدي: له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه قال ابن حجر: ضعيف من الثامنة: ت ١٨٢ (التهذيب١٧٧/٦ التقريب ٤٨٠/١ المجروحين ٥٧/٢)

٣ المحرر الوجيز: ٥٢٥/٤، ابن كثير ٤٨/٤

٥٠-* المراد الرشاد في قوله تعالى(وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) سورة غافر. قال أبو الليث: يعني ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ويقال رشاد اسم من أسماء أصنامه[١].

٥١-* قوله تعالى (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي لخلق الله تعالى السماوات والأرض أعظم من خلقه سبحانه الناس لأن الناس بالنسبة إلى تلك الأجرام العظيمة كلا شيء وقال أبو العالية: الناس الدجال قال الألوسي: وهو بناء على ما روي عنه في المجادلين ولعمري أن تطبيق هذا ونحوه على ذلك في غاية البعد وأنا لا أقول به [٢]

٥٢-* قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٢٩)الفتح. قال الألوسي: وعن بعض السلف جعل جمل الآية كل جملة مشيرة إلى معين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فعن عكرمة أنه قال: أخرج شطأه بأبي بكر

---

١ تفسير السمرقندىلأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي دار النشر: دار الفكر – بيروت تحقيق: د. محمود مطرجي ١٩٦/٣ غرائب التفسير وعجائب التأ ويل: ١٠٢٩/٢

٢ روح المعاني ٧٩/٢٤

فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأخرج ابن مردويه والقاضي أحمد بن محمد الزهري في فضائل الخلفاء الأربعة والشيرازي في الألقاب عن ابن عباس محمد رسول الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا علي كرم الله تعالى وجهه يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم في وجوههم من أثر السجود عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره بأبي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه بعثمان يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار بعلي كرم الله تعالى وجهه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جميع أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عنه رضي الله تعالى عنه أيضا في قوله تعالى كزرع قال أصل الزرع عبد المطلب أخرج شطأه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآزره بأبي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه بعثمان ليغيظ بهم الكفار بعلي رضي الله تعالى عنه وكل هذه الأخبار لم تصح فيما أرى ولا ينبغي تخريج ما في الآية عليها وأعتقد أن لكل من الخلفاء رضي الله تعالى عنهم الحظ الأوفى مما تضمنته

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية مثل ذلك التفسير وقد ذكر أمثلة أخرى وهذا يغني عن إيراد بقية الأمثلة التي يمكن أن يعرف بطلانها بالقياس قال رحمه الله: مَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ)مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ

مَعَهُ؟ أَبُو بَكْرٍ ?أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ عُمَرُ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ عُثْمَانُ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا عَلِيٌّ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: وَالتِّينِ أَبُو بَكْرٍ وَالزَّيْتُونَ عُمَرُ ?وَطُورِ سِينِينَ عُثْمَانُ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ عَلِيٌّ.

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ؛ تَارَةً تَفْسِيرَ اللَّفْظِ بِمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِحَالٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ لَا تَدُلُّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ.

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) كُلُّ ذَلِكَ نَعْتٌ لِلَّذِينَ مَعَهُ وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا النُّحَاةُ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ. والْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهَا كُلَّهَا صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَهُمْ الَّذِينَ مَعَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا مُرَادًا بِهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ! [١].

٥٣*-ومن سورة الذاريات "كَانُواْ قَلِيلاً مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ" الذاريات

الأصيل:

الهجوع النوم وقيده الراغب بقوله: ليلا وقيده غيره بالقليل دلت الآية على أنهم كانوا يهجعون قليلاً من الليل كقوله تعالى "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" السجدة: ١٦. وكقوله "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا" المزمل: ١-٤. وهذه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومعنى ذلك أن يجوز في إعراب "ما" عدة أوجه.

---

١ روح المعاني ١٢٦/٢٦ مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٨، ٨٩

الأول أَنْ تجعلَ "ما" مزيدة للتأكيد و"يَهْجَعُونَ" خبر "كَانُواْ" و(قَلِيلاً) منصوب على الظرفية – لأنه وصف بالزمان بقوله "مِّن اللَّيْلِ" – فهو صفة لـ (قَلِيلاً) والعامل في الظرف: "يَهْجَعُونَ" أي: "يَهْجَعُونَ" في طائفة قَلِيلة من الليل

الثاني كما يجوز أَنْ تجعلَ "ما" مصدريةً في محلِّ رفع بـ "قَلِيلاً" –لأن قَلِيلاً صفة مشبهة باسم الفاعل– والتقدير: كانوا قَلِيلاً هجوعُهم من الليل.

والثالث مثله إلا أن ما موصولة بدلاً من اسمِ كان وهو الواو– و"مِّن اللَّيْلِ" حال من الموصول مقدما عليه، ويكون قليلا خبر كان

والتقدير كان المقدار الذي يهجعون فيه قَلِيلاً حال كونه من الليل.

الرابع أَنْ تجعلَ "ما" – المصدرية– بدلاً من اسمِ كان –بدلَ اشتمال– و(قَلِيلاً) منصوب على الظرفية أي: كان في قَلِيل من الليل هجوعُهم.

الدخيل: أن تكون "ما" نافية و(قَلِيلاً) منصوب بيهجعون والمعنى كانوا لا يهجعون من الليل قَلِيلاً ولا كثيرا ويحيونه كله وروي عن مجاهد. وقال الضحاك: (كَانُواْ قَلِيلاً) في عددهم–أي تم الكلام عند (قَلِيلاً)– ثم ابتدأ (مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) على أن (ما) نافية.

ورده المحققون بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها؛ لأن لها صدر الكلام... وفي قول الضحاك ومن تبعه تفكيك للكلام

فعلى هذا القول، فكك الكلام وفصله عن بعضه فوَقَفَ على "قَلِيلاً" لأنَّ الكلامَ تَمَّ على "قَلِيلاً" أي عددهم قليل وفصله عما بعده ويَبْتدىء "مِّن

اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ". أي: ما يَهْجَعون من الليل، وهذا لا يَظْهر من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة كما بينه السمين مفصلاً

أمَّا من حيث المعنى فلا بُدَّ أن يَهْجَعوا ولا يُتَصَوَّرُ نَفْيُ هجوعِهم.

وأمَّا الصناعةُ فلأنَّ ما في حيِّز النفي لا يتقدَّم عليه عند البصريين، وهذا إنْ جَعَلْتَها نافيةً، وإنْ جَعَلْتَها مصدريةً صار التقديرُ: من الليل هجوعُهم. ولا فائدةَ فيه؛ لأنَّ غيرَهم من سائر الناس بهذه المَثابة قال ابن جزى فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه [1].

٥٤-* الدخيل في تفسير قوله تعالى (وَالطُّورِ) سورةالطور: ١):

قيل ما طرأ على قلوب الخائفين حكاه الماوردي قائلا: وقال بعض المتعمقة: إن الطور ما يطوى على قلوب الخائفين. قال الكرماني وهو بعيد ركيك[2].

٥٥-*الدخيل في تفسير قوله تعالى "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ" سورة القمر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا[3] قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً

---

١ الدر المصون ١٧٧/١٣ الكشاف٤/ ٤٠١ الآلوسي ٨/٢٧ التسهيل لعلوم التنزيل٤/ ٦٨ القونوي ومعه ابن التمجيد على البيضاوي ٢٠٨/١٨-٢١٠ التحرير والتنوير٣٤٩/٢٦)

٢ النكت والعيون ٣٧٧/٥غرائب التفسير وعجائب التأويل (١١٤٥/٢)

٣ البخاري ومعه الفتح ١٨٢/٧-١٨٦

من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، وقال بن عبد البر قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى ان انتهى إلينا ويؤيد ذلك بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر والعقل لا يمنع ذلك فالله على كل شيء قدير.

الدخيل: ومع ذلك فقد ذهب البعض إلى تأويل ظاهر الآية ولم يقل بانشقاق القمر. وهذا من الدخيل وقد تصدى العلماء للرد عليهم.

قال أبو حيان: والأمة مجمعة على خلاف من زعم أن قوله: "وَانشَقَّ الْقَمَرُ" معناه: أنه ينشق يوم القيامة، ويرده من الآية قوله: "وَإِن يَرَوْاْ ءايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ". فلا يناسب هذا الكلام أن يأتي إلا بعد ظهور ما سألوه معيناً من انشقاق القمر... ولا التفات إلى قول الحسن أن المعنى: إذ جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية، ولا إلى قول من قال: إن انشقاقه عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه في أثنائها، فالمعنى: ظهر الأمر، فإن العرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح... وهذه أقوال فاسدة، ولولا أن المفسرين ذكروها، لأضربت عن ذكرها صفحاً. [١]

٥٦-* من سورة الرحمن(الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)

---

١ البحر ١٧١/٦

**مفعول علم والمراد بعلم** ونصب "الْقُرْآنَ" على أنه مفعول ثان لعلم ومفعوله الأول محذوف لدلالة المعنى عليه أي علم الإنسان القرآن وقيل: المقدر جبريل عليه السلام أو الملائكة المقربين عليهم السلام، وقيل: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ،

ورجح القول الأول السمين الحلبي قائلاً: وهذا أَوْلَى لعُمومِه، ولأنَّ قولَه «خَلَق الإِنسانَ» دالٌّ عليه. ورجحه الألوسي حيث قال: والقول الأول أظهر وأنسب بالمقام، ولي في تعليم غير جبريل عليه السلام من الملائكة الكرام تردد مّا بناءاً على ما في الإتقان نقلاً عن ابن الصلاح من أن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس، وإنما لم أعتبر عمومه للنصوص الدالة على أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن وكأني بك لا تسلم صحة ما ذكر وإن استثنى منه جبريل عليه السلام،

ونحن كما قال شيخنا لا نسلم بصحة ما ذكر فلم يثبت أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن إلا على النبي لتعليمه أو لمدارسته، وماذا نستفيد من الإخبار بأن الله علم جبريل أو الملائكة بل المنة أن الله تعالى علم الإنسان النبي وغيره فهنا تظهر المنة العظيمة فهي أجل النعم[1]

---

١ الألوسي ٩٨/٢٧ الدر المصون ٢٥٨/١٣

وقيل: "عِلْمٍ" من العلامة أي جعل القرآن علامة وآية لمن اعتبر، أو علامة للنبوة ومعجزة

وهذا على ما قيل: يناسب ما ذكر في مفتتح السورة السابقة من قوله تعالى: "وَانشَقَّ الْقَمَرُ" ١ "القمر: وتتناسب السورتان في المفتتح حيث افتتحت الأولى بمعجزة من باب الهيبة وهذه بمعجزة من باب الرحمة.

وهذا بعيد وضعيف فنحمل الكلام على الظاهر أي من العلم قال الألوسي: وقد أبعد القائل ولو أبدى ألف مناسبة، فالذي ينبغي أن يعلم أنه من التعليم[1].

٥٧-*وقال وهب بن منبه: في قوله تعالى(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) سورة عبس. هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قيل لأنهم سفراء ووسائط بينه عليه الصلاة والسلام وبين سائر الأمة وقيل لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والتعلم وفي رواية عن قتادة أنهم القراء

الرد على هذا القول:

١-قال الألوسي: وكلا القولين ليس بالمعول عليه.

٢- قال ابن العربي: لقد كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سفرة، كراما بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين بها، بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركهم فيها

١ الألوسي ٩٨/٢٧

سواهم، ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم. وروي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له، مع السفرة الكرام البررة؛ ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران "متفق عليه، واللفظ للبخاري. [1]

٥٨-*قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)البلد: ٤)

الأصيل: الإنسان هنا ابن آدم. " في كبد "أي في شدة وعناء من مكابدة الدنيا. وأصل الكبد الشدة... قال ابن عباس والحسن: " في كبد "أي في شدة ونصب. وعن ابن عباس أيضا: في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت أسنانه، وغير ذلك من أحواله. وقال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وعنه أيضا: يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما. ورواه ابن عمر. وقال يَمانٌ: لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم؛ وهو مع ذلك أضعف الخلق. قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطا، وشد رباطا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد،

---

١ زاد المسير ٢٩/٩ فتح القدير ٣٨٣/٥ الدر المنثور٤١٨/٨ روح المعاني ٤٢/٣٠

والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويكابد محنا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضى عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته؛ ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار؛ قال الله تعالى: " لقد خلقنا الإنسان في كبد "، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. ودل هذا على أن له خالقا دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره.

قال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله: (في كبد) معناه: في شدة؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكبد؛ ومنه قول لبيد بن ربيعة:

عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

الدخيل

١- قيل: منتصبا في بطن أمه. والكبد: الاستواء والاستقامة. فهذا امتنان عليه في الخلقة. ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم، فإنه منتصب انتصابا؛ وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما.

وقال ابن زيد: الإنسان هنا آدم. وقوله: " في كبد "أي في وسط السماء.

وقد عد الكرماني قول ابن زيد من العجيب وهذا غير مفهوم. قال الألوسي بعد أن ذكر نحو تلك الأقوال-

وهذه الأقوال كلها ضعيفة لا يعول عليها بخلاف الأول.

[1]. قلت وما قاله يحتاج أيضا إلى تقدير محذوف وإلى ذكر مجاز ولا يصار إليهما إلا عند الضرورة ولا ضرورة هنا. ٥٩-* الدخيل في تفسير قوله تعالى: " وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى "قال الكلبي: " وَوَجَدَكَ ضَالاًّ "يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد، وقال السدي: كان على دين قومه أربعين سنة، وقال مجاهد: " وَوَجَدَكَ ضَالاًّ "عن الهدى لدينه، وهذا لا يقبل بحال غفر الله لقائله ولمن نقله فسياق السورة لبيان فضل الله على نبيه ومصطفاه. فكيف يتصور هذا الكلام الباطل. قال أبو حيان: لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى، لأن الأنبياء معصومون من ذلك... ولبعض المفسرين أقوال فيها بعض ما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولقد رأيت في النوم أني أفكر في هذه الجملة فأقول على الفور: " وَوَجَدَكَ "، أي وجد رهطك، " ضَالاًّ "، فهداه بك. ثم أقول: على حذف مضاف، نحو: " وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ ". ولكن الألوسي لم تعجبه ما فهمه من تلك الرؤيا فقال: وهو كما ترى في يقظتك!.

---

١ العجائب: ١٣٤٢/٢ تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٣٥١)

الأصيل وهو ما ذهب إليه الجمهور فقد اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام ما كفر بالله لحظة واحدة، قال المعتزلة: هذا غير جائز عقلاً لما فيه من التنفير، وقال أهل السنة هذا ممتنع سمعاً لقوله تعالى: " مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى "(النجم: ٢) لذا ذكروا وجوهاً كثيرة تقرب المراد وتوضح أحدها: ما روي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب: " وَوَجَدَكَ ضَالاًّ "عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها، وهو المراد من قوله: " مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ "(الشورى: ٥٢) وقوله: " وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ "(يوسف: ٣) قال الجنيد قدس سره أي وجدك متحيرا في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه.

ثانيها: ضل عن مرضعته حليمة حين أرادت أن ترده إلى جده.. وفيه حكاية طويلة

ثالثها: أنه عليه الصلاة والسلام ضل عن جده عبد المطلب وهو صبي ذكره الضحاك

رابعها: أنه عليه السلام لما خرج مع غلام خديجة ميسرة أخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل، فأنزل الله تعالى جبريل عليه السلام في صورة آدمي، فهداه إلى القافلة، وقيل: إن أبا طالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله تعالى وخامسها: يقال: ضل الماء في اللبن إذا صار مغموراً، فمعنى الآية كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه

سادسها: تسمي العرب الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة، كأنه تعالى يقول: كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله ومعرفته إلا أنت، فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل، والمراد أما وجدك وحدك ليس معك أحد فهدى الناس إليك ولم يتركك منفرداً.

سابعها: ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً، كما قال: " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا "(النحل: ٧٨) فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ

ثامنها: كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شيء من ذلك في قلبك، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها ألبتة

تاسعها: أنه قد يخاطب السيد، ويكون المراد قومه فقوله: " وَوَجَدَكَ ضَالاًّ "أي وجد قومك ضلالاً، فهداهم بك وبشرعك.

عاشرها: وجدك ضالاًّ عن الضالين منفرداً عنهم مجانباً لدينهم، فكلما كان بعدك عنهم أشد كان ضلالهم أشد، فهداك إلى أن اختلطت بهم ودعوتهم إلى الدين المبين

الحادي عشر: وجدك ضالاً عن الهجرة، متحيراً في يد قريش متمنياً فراقهم وكان لا يمكنك الخروج بدون إذنه تعالى، فلما أذن له ووافقه الصديق عليه

وهداه إلى خيمة أم معبد، وكان ما كان من حديث سراقة، وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله: " فَهَدَى "، وهذا بعيد لمكية الآية. وكذا الآتي الثاني عشر: ضالاًّ عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له / وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا، فهداه الله بقوله: " فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا "(البقرة: ١٤٤) فكأنه سمي ذلك التحير بالضلال الثالث عشر: أنه حين ظهرها له جبريل عليه السلام في أول أمره ما كان يعرف[١]

الخاتمة وبعد فهذا ما وفقني الله به من كتاب قصد السبيل في كشف الدخيل جمعت ما استطعت من تأويلات لا تتفق مع القواعد العلمية ولا تليق بالقرآن وعزته قال تعالى (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) سورة فصلت. فله عزة من عزة منزله الله جل جلاله وعز سلطانه. ولا تساهل لخطأ في تفسير كتاب الله تعالى. وما ذكرته في المقدمة يغني عن إعادته هنا والله المستعان وعليه التكلان. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١ الرازي ٣١/١٩٥ البحر المحيط ٨/ ٤٨١ الألوسي ١٦٢/٣٠

## أهم المراجع

* الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث

* الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. قدم له ضبط نصه كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى: ١٩٧٨ م

* أحكام القرآن لابن العربي تحقيق على محمد البجاوى طبعة دار الفكر العربي * إحياء علو م الدين لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي تحقيق بدوي طبانة طبعة الحلبي

* أساس البلاغة للزمخشري بيروت ١٩٧٩ م

* أصول التفسير وقواعده الشيخ خالد عبدالرحمن العك دار النفائس الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين... للإمام ابن القيم تحقيق هاني الحاج مكتبة التوفيقية

* الإمام القاسمي ومنهجه في التفسير" رسالتي للعالمية تحت إشراف العلامة الدكتور /إبراهيم خليفة مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة.

* تفسير السمرقندىلأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي دار النشر: دار الفكر – بيروت تحقيق: د. محمود مطرجي.

* البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التـــراث

* البيان والتعريف لإبراهيم بن محمد الحسيني دار الكتاب العربي بيروت

* تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

* التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ٩/١ الناشر مكتبة الإيمان

* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ط دار المدينة المنورة الثانية ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

* تذكرة الموضوعات للفتني الهندي

* الترغيب والترهيب للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المكتبة التوفيقية.

* تفسير النسفي. للإمام عبد الله بن أحمد النسفي – طبعة الحلبي.

* التفسير التحليلي لسورة النساء للأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة، الأولى ١٩٩٣ م

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة. لأبي الحسن على بن محمد بن عراق الكناني ٩٠٧-٩٦٣هـ حققه وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق مطابع دار الكتب العلمية بيروت.

* التهاني في التعقيب على موضوعات الصاغاني للشيخ عبد العزيز محمد الصديق دار الأنصار.
* تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي ط الرسالة
* توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لـ "محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي
* الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الطبعة الأولى ١٩٥٢ – دار الكتب العلمية بيروت.
* خواطر دينية لأبي الفضل عبدالله بن محمد الغماري الناشر مكتبة القاهرة
* الدخيل في التفسير. أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة مطبعة دار ط ١٤٠٤
هـ، ١٩٨٤م
الدراية في تخريج أحاديث الهداية للحافظ ابن حجر دار المعرفة – بيروت.
الدرر المنتثرة للحافظ السيوطي طبعة الاعتصام تحقيق محمد عبد القادر عطا
* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.
للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد محمد الخراط دار القلم دمشق ط ١ –١٩٨٦
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام السيوطي دار المعرفة للطباعة والنشر.

* الرسالة الكبرى على البسملة للشيخ محمد بن على الصبان دار البصائر

* روح البيان إسماعيل حقي البروسوي دار إحياء التراث العربي بيروت.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

للعلامة شهاب الدين محمود الألوسي المنيرية الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٥.

* زاد المسير في علم التفسير.

للإمام عبد الرحمن بن على الجوزي تحقيق محمد السيد الجليند المكتب الإسلامي بيروت.

* الزهد لابن أبي عاصم دار الريان للتراث١٤٠٨.

* الزهد الكبير للبيهقي مؤسسة الثقافية بيروت ١٩٩٦.

* سنن البيهقي (الكبرى). لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي دار الفكر.

* سنن الترمذي ومعه تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. للإمام الحافظ أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠.

* سنن أبي داود للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني دار الريان للتراث سنة ١٩٨٨.

* سنن الدارقطني. للحافظ على بن عمر الدارقطني عني بتصحيحه السيد عبد الله هاشم اليماني المدني دار المحاسن للطباعة – ١٩٦٦.

* سنن ابن ماجه. للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني دار الريان للتراث تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
* سنن النسائي... للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب
أ -الصغرى. بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي دار الريان للتراث سنة ١٩٨٧.
ب- الكبرى- تحقيق د/ عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية بيروت.
* سير أعلام النبلاء... للحافظ الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط، حسين أسيد مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٩٨٥.
* السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للإمام تقي الدين السبكي تحقيق وتكملة الرد على نونية ابن القيم العلامة محمد زاهد الكوثري الناشر مكتبة زهران.
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي
* شعب الإيمان للبيهقي
* صحيح البخاري (معه فتح الباري لابن حجر تحقيق محب الدين الخطيب دار الريان للترات
* صحيح مسلم بشرح النووي.......... طبعة الحلبي
* الضعفاء العقيلي دار الكتب العلمية بيروت الأولى (١٤٠٤-١٩٨٤) تحقيق محمد أمين قلعجي

* العظمة لأبي الشيخ ابن حبان
* العلل المتناهية لابن الجوزي تحقيق خليل الميس دار الكتب العلمية بيروت الأولى١٤٠٣
* الغماز على اللماز للسمهودي
* فتاوي الغماري عبدالله صديق الغماري مكتبة القاهرة.
* الفتاوى الحديثية للإمام السخاوي تحقيق على رضا بن بن عبد الله على رضا دار المأمون للتراث دمشق بيروت الأولى١٤١٦- ١٩٩٥-
* فتح المغيث للسخاوي بيروت الأولى ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م
* الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦.
* الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني تحقيق عبد الرحمن بن يحى المعلمى أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.
* قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الشيخ محمود شاكر صـ٥٤) مطبعة المدني الأولى ١٤١٨-١٩٩٧
* قواعد التحديث. للإمام القاسمي تحقبق محمد بهجة البيطار دار الكتب العلمية- بيروت الأولى ١٣٩٩، ١٩٧٩
* الكامل في ضعفاء الرجال. للإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني تحقيق د/ سهيل ذكار الطبعة الأولى - دار القلم

* كبرى اليقينيات الكونية د / محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر المعاصر.
* الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي للعلامة محمدد بن محمد الطراابلسي تحقيق د/ محمد محمود بكار مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة.
* كشف الخفا ومزيل الإلباس فيما أشتهر من الحديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني تحقيق أحمد القلاش دار التراث.
* اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين السيوطي دار المعرفة بيروت
* لسان الميزان. لابن حجر الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٦ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
* المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. للإمام محمد بن حبان أبو حاتم البستي تحقيق محمود إبراهيم زايد الطبعة الثانية ١٤٠٢ دار الوعي- حلب
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ نور الدين الهيثمي بتحرير الحافظين (العراقي وابن حجر) الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢ دار الكتاب العربي. بيروت.
* مجموع الفتاوى لابن تيمية

* المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي الناشر مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية
مجلة" نور الإسلام "
* محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ط الحلبي
* المحصول في أصول الفقه للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي الناشر: دار البيارق – الأردن الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م تحقيق: حسين علي اليدري.
* المدخل إلى التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد. دار النشر والتوزيع الإسلامية الطبعة الثانية ١٤١١، ١٩٩١
* المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير. للعلامة الدكتور/يوسف القرضاوى٥ مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤٢٢- ٢٠٠١.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل: المكتب الإسلامي بيروت
* المصنف لابن أبي شيبة مكتبة الرشد الرياض.
* المصنف لعبد الرزاق تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت
* المصنوع للعلامة حسن بن محمد الصغاني. العلامة عبد الفتاح أبو غدة

* المعجم الأوسط للطبراني

* المغير في الأحاديث الموضوعة على الجامع الصغير. أحمد صديق الغماري مكتبة القاهرة

* المفردات لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقبق محمد السيد الكيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١هـ، ١٩٦١ م

* المفصل للزمخشري بشرح ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على بن يعيش: الناشر عالم الكتب بيروت)

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي تعليق المحدث الصديق الغماري وعبد اللطيف عبد الوهاب

* مقدمة ابن الصلاح

* مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور دار القرآن الكريم بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٩ .١٣٩٩

* مقالات الكوثري محمد زاهد الكوثري طبعة المكتبة الأزهرية للتراث

* المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الناشر مكتبة ابن تيمية.

* منحة الجليل في التنبيه على ما في التفسير من الدخيل – د / سيد مرسي إبراهيم البيومي الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

* الموضوعات لابن الجوزي بيروت الثانية ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للإمام الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي طبعة الحلبي ١٩٦٣.

* النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد –ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية دار الكتب العلمية بيروت– لبنان

* نقد النصائح الكافية. للقاسمي (دمشق).

* نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر دار الكتب العلمية بيروت. ١٤١٦-١٩٩٥.

* نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. للإمام محمد علي الشوكاني" مكتبة الكليات الأزهرية "

وغيرها من المراجع مما ذكر في الحاشية.

الفهرس

بيان مبهمات الفرآن

تتمة: حول رد ما صح من الحديث

المطلب الثاني حول القراءات

*- (لا يجوز التفسير بالقراءة الشاذة المخالفة للمتواترة).

*- الدخيل بسبب ما يتعلق بالوقف والابتداء.